شرح
أصول
الإيمان

تأليف
الدكتورة قذلة بنت محمد آل حواش القحطاني

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمـــــــــــة

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ..

أما بعد :

فإن أعظم ما يتقرب به العبد إلى الله -بعد الفرائض- هو طلب العلم؛ فالعلم هو الطريق الموصل إلى الله تعالى، وسبب الثبات على الدين، وبه يتفاوت الخلق في مراتب اليقين، ودرجات العبودية، فإن الدين مراتب وهي: الإسلام والإيمان، والإحسان.

والإيمان شجرة مثل النخلة، عروقها ممتدة وأصلها ثابت، والفرع في السماء، والفروع هي الأعمال، وتُسقى الشجرة بماء الوحي من الكتاب والسنة، فتثمر الإيمان كما تثمر النخلة التمر!

ومن هنا فإن علم التوحيد هو أصل العلوم وأفضلها وأعظم علم ، فشرف العلم من شرف المعلوم، وعلم التوحيد مداره على العلم بالله ومعرفته تعالى وإفراده بالربوبية والألوهية والأسماء والصفات ومعرفة رسله وكتبه وأمره وشرعه ، وحاجة الناس إلى ذلك فوق كل حاجة،

ومنتهى غاية التوحيد حصول السعادة للعبد في الدنيا والآخرة، وحقيقة ومضمون دعوة جميع الأنبياء والرسل عليهم صلوات الله وسلامه من أولهم إلى آخرهم الدعوة إلى التوحيد.

وقد مكث-عليه الصلاة والسلام- ثلاثة عشر عاماً بمكة ، يبني هذا الأساس من الدين ويحمي حماه، ويذب عنه بكل مايملك ،حتى أقام البناء ودخل الناس في دين الله أفواجاً، وأوصى أمته من بعده بالاعتصام بالكتاب والسنة ،وحذرها من البدع والمحدثات.

ويقدر الله لي شرح كتاب أصول الإيمان لفضيلة الشيخ/ محمد بن صالح العثيمين في عدد من الدورات العلمية، وقد طلبت مني عدد من طالبات العلم طباعة هذه الشروح في كتاب مختصر يسهل عليهن فهمها ومراجعتها؛ فاجتهدت في إخراج هذا الشرح مستفيدة مما كتبته احدى الطالبات الحريصات على طلب العلم _جزاها الله خيرا_ بعد مراجعته وأضفت إليه مباحث سبق أن كتبتها في مراحل الدراسة فاختصرتها في هذا الكتاب، سائلة المولى جل وعلا أن يتقبله علماً نافعاً ويجعله خالصا لوجهه الكريم، صوابا ويجعله في موازين حسنات من طبعه، ونشره، ووالدينا، وذرياتنا والمسلمين أجمعين.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم أجمعين.

قالته وكتبته/ الفقيرة إلى عفو ربها ورحمته

قذلة بنت محمد بن عبدالله آل حواش القحطاني

في يوم الأحد ٢٥ من ذي الحجة لعام ١٤٣٥هـ

الموقع الرسمي http://www.d-gathla.com

أسس العقيدة

العقيدة الإسلامية أساسها الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره قال الله تعالى: ﴿ **لَّيْسَ الْبرَّ أن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَـكِنَّ الْبرَّ مَنْ آمَنَ باللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ**﴾ [البقرة: ١٧٧].

وفي القدر قال تعالى : ﴿ **إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ(٤٩) وَمَا أَمْرُنَا إِلَّا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ** ﴾ [القمر: ٤٩.٥٠].

وحديث جبريل عليه السلام عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم، إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن**

استطعت إليه سبيلا»، قال: صدقت، قال: فعجبنا له يسأله، ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان، قال: «**أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره**»، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان، قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك**»، قال: فأخبرني عن الساعة، قال: «**ما المسئول عنها بأعلم من السائل**» قال: فأخبرني عن أمارتها، قال: «**أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان**»، قال: ثم انطلق فلبثت مليا، ثم قال لي: «**يا عمر أتدري من السائل؟**» قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «**فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم**»[1].

(١) رواه مسلم كتاب الإيمان ، باب معرفة الإيمان، والإسلام، والقدر وعلامة الساعة برقم (٨) (١/ ٣٧).

الأصل الأول من أصول الإيمان

الإيمان بالله تعالى

إن الإيمان بالله جل وعلا ويشمل الإيمان بربوبيته وألوهيته وما يجب له من صفات وأسماء تليق بجلاله جل وعلا مما أخبر به في كتابه، أو ثبت من سنة نبيه محمد ﷺ وهذه هي أقسام التوحيد الثلاثة، التي تشمل القسم الخبري العلمي الاعتقادي وتشمل توحيد الربوبية والأسماء والصفات، والقسم الإنشائي الطلبي العلمي وهو توحيد الألوهية توحيد القصد، والإرادة، الذي دعت إليه الرسل، ومن أجله أنزلت الكتب، وأبى المشركون قبوله والاعتراف به [1].

أولاً: توحيد الربوبية

والرب في اللغة: "المالك، والسيد، والمدبر، والمربي، والقيم، والمنعم" [2].

وقال ابن الأنباري [3]:

"**والرب ينقسم على ثلاثة أقسام**: يكون الرب المالك، ويكون الرب السيد المطاع، قال تعالى: ﴿ **فَيَسْقِى رَبَّهُۥ خَمْرًا** ﴾ [يوسف:٤١]، ويكون الرب المصلح، رب الشيء إذا أصلحه .. "ا.هـ [4].

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم، ص٤٦٤- ٤٦٥، ومدارج السالكين (٤٤٩/٣).

(٢) لسان العرب: مادة (ربب) وهو من كلام أحمد بن يحيى (٣٩٩/١).

(٣) عبدالرحمن بن محمد بن عبيدالله الأنصاري، أبو البركات كمال الدين الأنباري: من علماء اللغة والأدب وتاريخ الرجال كان زاهداً عفيفاً .. سكن بغداد وتوفي فيها، الأعلام (٣٢٧/٣).

(٤) لسان العرب: (٤٠٠/١- ٤٠١).

والله عز وجل هو المالك، المتصرف، الخالق، الرازق، المحيي، المميت، المدبر، السيد، المطاع .. الذي لايُسأل عما يفعل وهم يُسألون، له صفات الكمال المطلق، وله تصرف العبادة، وهو الإله الحق، الذي يحق الحق بكلماته ولو كره المجرمون.

والإيمان بربوبية الله جل وعلا، مركوز في الفطرة لا ينكره إلا معاند مكابر، والاستدلال عليه يكون من قبيل التنبيه وإيقاظ الفطر الغافلة وقد اعترف به المشركون، قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١] .

وقوله تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ [المؤمنون:٨٤-٨٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الزمر:٣٨].

ومع اعترافهم به فلم يدخلهم في الإسلام، ولم ينجهم من عذاب الله وسخطه وذلك لعدم اعترافهم بلازمه،وصرفهم العبادة لغير الله.

والمتأمل في هذا الكون الهائل بأرضه وسمائه، الناظر في بره وبحره، أجرامه وكواكبه، يعلم يقيناً أنه لا يمكن أن يوجد هذا العالم إلا بموجد أوجده، حي قادر لا يعتريه الحدوث والتجدد وهو الرب جل وعلا. قال تعالى: ﴿ .. أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم:١٠].

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُواْ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُواْ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [الطور:٣٥-٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

أدلة الربوبية

١ ـ خلق السماوات والأرض

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ .. ﴾ [يونس:٣١].

مما لا شك فيه أن خلق السماوات والأرض من أعظم الدلائل على ربوبية الله عز وجل فلو نظرنا إلى **السماء**: لرأينا هذا البناء الشامخ الذي ليس به خلل ولا فطور، قد رفعه الله تعالى بلا أعمدة، وزينة بالنجوم، وجعلها فيه كالمصابيح المضيئة.

قال ابن جرير رحمه الله عند تفسير قوله تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي

﴿فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأٓيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٦٤﴾﴾ [البقرة:١٦٤] إن الله تعالى ذكره، ونبه عباده على الدلالة على وحدانيته، وتفرده بالألوهية، دون كل ما سواه من الأشياء بهذه الآية. ا.هـ [1] أي آية خلق السماوات والأرض.

وهاهي **الأرض**: آية أخرى، دلالة ثانية على إبداع البارئ جلا وعلا، وعلى ربوبيته فقد جعلها قراراً ومستقراً لجميع الكائنات، وسخرها للإنسان، ثم اقتضت حكمته تعالى أن يجعل الجبال لها أوتاداً، ولو لم يجعل عليهاالجبال الشامخات لم تكن مستقرة كما نشاهد، ولأصبحت تتكفأ تكفؤ السفينة، فلا يمكن أن يستقر عليها بنيان أو كائن.

وتأمل في خلق هذه الأرض من جوهر التراب، ولم تكن من الذهب أو الفضة أو الياقوت .. أو غير ذلك من الجواهر النفيسة، إذ لو كانت منها لفاتت مصالح الإنسان عليها وكذلك الحيوان [2].

وتأمل ما أودعها الرب تعالى من الكنوز الثمينة التي ينتفع بها الخلق في أمور معاشهم، وأهم ذلك (البترول) الذي يتدفق من باطنها ملايين الأطنان.

وتأمل العيون التي تتفجر من باطنها، على نحو لا يعلمه إلا الله تعالى، ثم انظر إلى تلك الأراضي المتجاورة، ومع ذلك فبعضها يختلف

---

(١) جامع البيان لابن جرير (٢/٦٢).

(٢) انظر التبيان في أقسام القرآن لابن القيم، (ص١٨٦).

عن بعض فمنها ما يصلح للنبات والمرعى، ومنها قيعان لا تصلح لشيء من ذلك [1].

ولاشك أن ذلك من دلائل ربوبيته، وألوهيته وأنه الإله المستحق للعبادة، ولذلك قال تعالى:﴿ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ [يونس:٣].

ويقول أيضاً: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝٦ ﴾ [يونس:٦].

ويقول جل ذكره في سورة النحل: ﴿ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝٣ ﴾ [النحل:٣].

ويقول تعالى: ﴿ ۞ قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ ﴾ [إبراهيم:١٠].

إلى غير ذلك من الآيات التي لوتتبعتها لطال المقام، وكلها تشير إلى عظيم خلق السماوات والأرض، وما خلق فيها الله تعالى من عظيم الآيات وبين المعجزات الدالة على ربوبيته.

٢ـ تدبير الأمر

قال تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۝٣ ﴾ [يونس:٣].

وقوله تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ

(١) انظر: المرجع السابق، (ص١٧٦)، ومفتاح دار السعادة لابن القيم (١/٢٢١).

﴿ٱلْحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾﴾ [يونس:٣١].

إن تدبير الأمر في هذا العالم لمن آيات الله الباهرة. فمن الذي سخر الشمس أن تطلع صباحاً وتغرب مساءً؟! ومن الذي أجرى القمر في فلك معين لا يحيد عنه قيد أنملة؟! ومن الذي أجرى الأفلاك بما لا يعلم كنهه إلا خالقه؟! ومن الذي أحيا وأمات؟! وأوجد من العدم؟! وأغنى وأفقر؟!ومن الذي أنزل من السماء ماءً فأحيا به الأرض بعد موتها؟! ومن الذي أخرج لنا من الأرض ثمرات مختلفاً ألوانها مع تساوي التربة والغذاء؟! من الذي يدبر أمر السماء والأرض ..؟! إنه بلا شك ولا ريب الله سبحانه وتعالى، وهو مع هذا لا يشغله شأن عن شأن، بل هو محيط بعلم كل شيء ليس معه شريك ولا ند.

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى رَفَعَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُم بِلِقَآءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾﴾ [الرعد:٢].

قال الإمام الشوكاني في تفسير قوله تعالى: (يدبر الأمر):

"قيل يبعث الأمر، وقيل ينزل الأمر، وقيل يأمر به ويمضيه، واشتقاقه من الدبر، والأمر الشأن، وهو أحوال ملكوت السماوات والأرض والعرش وسائر الخلق"[1].

وإذا كان الرب جل وعلا هو مدبر جميع أمور الدنيا والمعاش فله الحق في تدبير أمور الآخرة، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب

(١) فتح القدير للشوكاني (٢/٤٢٣).

وتشريع الشرائع، فلا أحد غيره يستحق أن يتفرد بتلك الأمور العظيمة.

٣- خلق الشمس والقمر

وهاهي آية خلق الشمس والقمر، آية أخرى، ودلالة عظيمة على ربوبية الله عز وجل، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُۥ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾ ﴾ [يونس:٥].

ومن الآيات الباهرات في خلق الشمس والقمر طلوع الشمس وغروبها على نمط معين، وكذلك القمر بنظام دقيق، لا يتخلف ولا يعتريه اضطراب.

وتأمل ماذا سيحصل لو طال النهار ولم تغرب الشمس، أو العكس فلو حصل ذلك لأحرقت الشمس ما على الأرض من نبات، ولو حصل العكس لتجمد كل ما على الأرض [(١)].

قال تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ [يس:٣٨-٤٠].

---

(١) انظر العلم يدعو للإيمان، أكريسي موريسون ص٥٥، والله جل جلاله لسعيد حوى، ص٤٠.

٤ـ اختلاف الليل والنهار

إن في اختلاف الليل والنهار، وفي تعاقبهما لآية عظيمة لمن ألقى السمع وهو شهيد، ولهذا أكثر الله تعالى من ذكرها في القرآن العظيم، في آيات كثيرة، وبأساليب متنوعة.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس:٦].

ويقول تعالى: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ﴾ [آل عمران:١٩٠].

وقوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا ﴿٦٢﴾ ﴾ [الفرقان:٦٢].

وقوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ﴾ [الروم:٢٣].

فتأمل كيف جعل الله سبحانه وتعالى الليل سكناً تسكن فيه الخلائق، وجعل النهار لخروجهم وطلبهم الرزق في الأرض، فكيف كان الحال لو جعل الله تعالى النهار سرمداً، بلا ليل نسكن فيه؟

وتأمل لو جعل الله الليل سرمداً إلى يوم القيامة، كيف سيكون حالنا، والظلام يغطي الكون وأمور معاشنا متوقفة، ولهذا نبه الله سبحانه عباده إلى التأمل والنظر في هذه الآية بقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَآءٍ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمُ ٱلنَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [القصص:٧١-٧٢] .

لاشك أن ذلك آية على ربوبيته جل وعلا [1].

وآية أخرى في النوم الذي لا يستطيع أحدٌ تفسيره، والوقوف على حقيقته، وفي الوقت نفسه لا يمكن أن يعيش الإنسان دون أن ينام .

كما ثبت طبياً الفرق الكبير بين نوم الليل، ونوم النهار، إذ إن نوم الليل لـه فوائد صحية، وينال الجسم فيه راحته بعيداً عن الضوضاء والصخب [2].

ومن الآيات أيضاً تعاون الليل والنهار على تحقيق مصالح الخلق. مع اختلافهما، وما بينها من التضاد، وهذه كلها آيات على ربوبية الخالق سبحانه وتعالى [3].

٥ـ ما خلق الله في السماوات والأرض

قال تعالى: ﴿ إِنَّ فِي ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس:٦].

وهذه آية أخرى، وماذا عساك أن تحيط به مما خلق الله في السماوات والأرض؟! قال تعالى:﴿ قُلِ ٱنظُرُواْ مَاذَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١].

أولاً: الدلائل السماوية:

من كواكب، وأفلاك، وأحوال المطر، والرعد، والبرق، والصواعق .. وغير ذلك مما هي آيات بينات على خالقها ومدبرها سبحانه وتعالى.

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة (١/٢٠٣).

(٢) انظر مع الطب في القرآن، (ص١٠٥- ١٠٦).

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي (٤/٢١٥).

فتأمل تلك الكواكب العظيمة، التي تفوق حجم الأرض آلاف المرات، بل قد تبدو الأرض بالنسبة لها كحبة الرمل، ولاشك أن عظمتها تدل على عظمة خالقها سبحانه [1].

وتأمل كذلك النجوم الزاهرة التي زين الله بها السماء الدنيا فقال سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ ﴾ [الصافات:٦] ، ومع ذلك فهم يهتدون بها في ظلمات البر والبحر، ويستدلون بها على القبلة، ولهم فيها منافع أخرى. " وهذه الكواكب مختلفة في صفات كثيرة فبعضها سيارة، وبعضها ثابتة، والثوابت بعضها في المنطقة وبعضها في القطبين، وأيضاً الثوابت لامعة والسيارة غير لامعة، وأيضاً بعضها كبيرة درية عظيمة الضوء، وبعضها خفيفة قليلة الضوء" [2] وهذه النجوم والكواكب متباعدة بعضها عن بعض بمسافات هائلة، لا تحسب إلا بالسنة الضوئية [3] ، وهناك عدد كبير من النجوم لا يمكن رؤيتها بالعين المجردة.

ثم تأمل المطر النازل من السماء على شكل نقط صغيرة، لا تؤذي من سقطت عليه، ثم تتحول إلى أنهار وينابيع، عذبة طيبة المذاق [4] .

ومن الآيات في خلقه أيضاً كونه سبباً لحياة الأحياء، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ كُلَّ شَىْءٍ حَىٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنبياء:٣٠].

---

(١) انظر العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، (ص١٤٥).

(٢) تفسير الفخر الرازي (١٣/١٠٦).

(٣) السنة الضوئية حوالي: "٦ مليون مليون وهي المسافة التي يقطعها الضوء في عام" هندسة النظام الكوني في القرآن، ص١٦.

(٤) انظر المرجع السابق، ص١٥- ١٦، وص ٢٤، وكتاب التوحيد للزنداني (٢/١٣٤).

كما جعله سبحانه من الأسباب في رزق العباد قال جل ذكره: ﴿ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الذاريات:٢٢] .

ومن الآيات أيضاً ذلك السحاب المحمل بكميات هائلة من الماء، ومن ذلك يظل معلقاً بين السماء والأرض إلى أن يأذن الله تعالى بنزوله، وهذا من أعظم الآيات ، وتأمل هذا الماء الساقط تجده عذباً حلواً، فإذا خالط مياه البحار والمحيطات عاد مالحاً، وهذا من الحكم العظيمة الباهرة، إذ لو كان ماء البحر عذباً لصعب على الكائنات الحية من أسماك وغيرها أن تعيش فيه، وذلك بسبب العفونة والفساد الذي ينشأ من القاذورات الساقطة فيه، فلما كان مالحاً، صار وطناً صالحاً لما يعيش فيه من كائنات حية وما يستخرج منه من منافع. وتأمل حال البرق، والرعد، والصواعق، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِي يُرِيكُمُ ٱلۡبَرۡقَ خَوۡفٗا وَطَمَعٗا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ﴿١٢﴾ وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعۡدُ بِحَمۡدِهِۦ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مِنۡ خِيفَتِهِۦ وَيُرۡسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمۡ يُجَٰدِلُونَ فِي ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلۡمِحَالِ ﴿١٣﴾ لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ ﴾ [الرعد:١٢-١٤].

فهذه من الآيات العظيمة الكثيرة، لمن تأملها بعين البصيرة والتفكر!.

ثانياً: الدلائل الأرضية:

بما في ذلك من أحوال النبات والحيوان والبحار والمعادن .. فتأمل أحوال النبات وما فيه من عيب صنع الله، إذ يسقى بماء واحد، ومع ذلك اختلفت ألوانه، وتباينت أشكاله، وتفاوت طعمه فهذا عنب،

وهذا تمر، وهذا زيتون .. فسبحان الخالق الذي أتقن كل شيء خلقه [1].

قال تعالى: ﴿ وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي ٱلْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [الرعد:٤].

قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٩٩﴾ ﴾ [الأنعام:٩٩].

وتأمل ما خلق الله تعالى من أنواع الحيوانات، فمنها ما يركب ومنها ما يحلب، ومنها ما يتغذى عليه، ومنها ما يحرس الإنسان وغير ذلك ما هو آية دالة على خالقه تبارك وتعالى [2].

وتأمل اللبن الذي يخرج طعاماً لذيذاً سائغاً للشاربين، مع أنه يخرج من بين الدم والفرث، مع اختلافه عنهما لوناً وصفة [3]، قال تعالى: ﴿ وَإِنَّ لَكُمْ فِي ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ [النحل:٦٦].

وانظر إلى البحار، والأنهار، والعيون وما أودعه الله فيها من عجائب الأسرار، حيث إن البحار تغطي حوالي ثلاثة أرباع الكرة الأرضية، ولولا إمساك الله جل وعلا الماء لطفح وغطى جميع أرجاء

---

(١) انظر كتاب التوحيد للشيخ عبدالمجيد الزنداني (١/٣٣).

(٢) انظر مفتاح دار السعادة (١/٢٠٦).

(٣) انظر التفسير القرآني لقرآن لعبدالكريم الخطيب (١٤/٣٢١).

المعمورة [1] ، وتأمل الأرض، وما فيها من آيات كما سبق بيان بعض ذلك [2] .

لاشك أن هذه الدلائل السماوية والأرضية كلها تدل على ربوبية الله تعالى وعظمته- سبحانه وتعالى-.

٦- جريان الفلك في البحر

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس:٢٢].

ويقول تعالى في سورة إبراهيم: ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ ﴾ [إبراهيم:٣٢].

وقوله تعالى في سورة الشورى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ﴾ [الشورى:٣٢].

وهذه آية عظيمة من آيات الله، فلهذه المخلوقات خواص معينة، تجعلها تظل باقية على سطح الماء، ولو اختلفت هذه الخواص التي أودعها الله تعالى في هذه المخلوقات ما جرت السفن على الماء، ومن هذه الخواص كثافة الماء، وضغط الهواء، والتيارات المائية والهوائية،

---

(١) انظر مفتاح دار السعادة (١/٢٠٤)، وسبعون برهاناً (٢/٢٨٦- ٢٧٢).

(٢) انظر ص(١٤- ١٥).

ودرجة الحرارة، وغير ذلك من الخواص التي ذكرها العلماء [1] .

٧- الرياح

قال تعالى: ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ ﴾ [يونس:٢٢] فهذه الرياح التي تملأ الكون، خلقها الرب عز وجل لحكم عظيمة وهي من آيات ربوبيته.

وهي أنواع ذكرها الله تعالى في آيات كثيرة، ومتفرقة في القرآن الكريم، بل وأقسم بها في مواضع، وذلك لشرفها، ولما فيها من بديع صنعه وكمال قدرته.

فمن أنواع الرياح، النوع الذي يسير الفلك في البحر، ومن أنواع الرياح، الرياح اللواقح التي تقوم بتلقيح الأزهار [2] فتكون بعد ذلك الثمار، قال تعالى:﴿ وَأَرۡسَلۡنَا ٱلرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلۡنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَسۡقَيۡنَٰكُمُوهُ وَمَآ أَنتُمۡ لَهُۥ بِخَٰزِنِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [الحجر:٢٢].

وهذه الرياح كما أنها تأتي رحمة، وبشرى، فهي قد تأتي عذاباً ونقمة قال تعالى: ﴿ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الذاريات:٤١-٤٢].

لاشك أن هذا كله من آيات الله العظام.

---

(١) انظر تفسير الآيات الكونية د. عبدالله شحاتة، (٢١٧)، وطريق الإيمان لسميح عاطف، ص٥٩.

(٢) انظر جامع البيان (١٤/٢٠، ٢٢).

٨- الرزق

قال تعالى:﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ ﴾ [يونس:٣١].

فالرزق من آيات الله العظيمة في هذا الكون، فانظر إلى رزق الأجنة في الأرحام، كيف يصل إليها عن طريق الحبل السري، وعندما تخرج من تلك الظلمات الثلاث، يفتق لها ثدي الأم فيخرج لبناً صافياً عذباً، يحوي جميع المواد الغذائية التي يحتاجها البدن، فإذا اشتد العود، نبتت الأسنان فتغذى البدن بعد ذلك على الخيرات العظيمة التي تخرج من الأرض، وكما رزق الإنسان رزق الأسماك في أعماق البحر والدود في جوف الصخر، وكذلك ساق غذاء الحشرات التي لا تكاد ترى بالأبصار، وخلق لها وسيلة التقاط الغذاء إما بالمنقار، وإما بالمخالب، أو الخراطيم كل ٌ وما يناسب الخلقة التي خلقه الله عليها [1] ، ولهذا يقول جل ذكره: ﴿ ۞ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا ۚ كُلٌّ فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦﴾ ﴾ [هود:٦]. ويقول جل ذكره: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ ۚ هَلْ مِنْ خَٰلِقٍ غَيْرُ ٱللَّهِ يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [فاطر:٣].

---

(١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا (١٢/١٢- ١٣)، والإيمان للزنداني وآخرين، ص٤٢- ٤٤.

٩- خلق السمع والبصر

قال تعالى: ﴿ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ ﴾ [يونس:٣١].

إن ما خلق الله عز وجل في هاتين الحاستين، لعالم وحده، وإن فيهما من دقيق وعجيب صنع الله، ما لا يمكن أن يخطر على بال.

وفي التعبير عنهما بالملكية مع أنه مالك لكل شيء فيه إشارة إلى أن الإنسان بهاتين الحاستين يتعلم، فهما من أظهر الحواس في الإنسان إذ بدونهما لا يمكن له المعرفة والتعلم، فهما وإن كانتا من أسباب تفضيل الإنسان، وترقيه في العلم والمعرفة، فهما تحت تصرف الرب تعالى وفي ملكيته، وهو قادر على سلبهما [(١)] .

والأذن تتركب من الأذن الخارجية، والأذن الوسطى، والأذن الداخلية، وقد احتوت جميعاً على بديع خلق الله عز وجل، وعجيب صنعه، فتأمل الأذن الخارجية، كيف خلقها الله تعالى على شكل صدفة كثيرة التعاريج؟ لتجميع الذبذبات الصوتية وتكسر من حدتها، ثم تنقلها إلى القناة الغضروفية، ثم إلى غشاء الطبلة ثم إلى المخ فيترجمها إلى حروف وأصوات، فسبحان من أتقن كل شيء خلقه [(٢)].

ثم تأمل حاسة البصر وما فيها من دقيق الخلق فهي مكونة من ثلاث طبقات، تحوي من الأغشية، والأوعية الدموية، والأنسجة ما تحار فيه العقول، فمثلاً "العين الواحدة حوالي (١٤٠) مليون مستقبل حساس للضوء، وهي تسمى بالمخاريط والعصي، وطبقة المخاريط

---

(١) انظر التفسير القرآني للقرآن (١١/١٠٠).

(٢) انظر تفصيل ذلك في كتاب خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد البار، ص٣٢٤.

والعصي هذه هي واحدة من الطبقات العشرة (٠.٤مم). ويخرج من العين نصف مليون ليف عصبي فينقل الصورة بشكل ملون" [١].

وتأمل أيضاً هذه الرموش والجفون التي تحيط بالعين، وذلك لحفظ العين ووقايتها، وانظر إلى هذه الغدة الدمعية، التي لم يخلقها الرب جل وعلا عبثاً، فقد ذكر العلماء من فوائد الدموع، تخفيف شدة الحزن، وترقيق القلب وتطهيره إذا كانت من خشية الله، بالإضافة إلى ترطيب العين وتنظيفها من الميكروبات والأتربة إذ تحوي مواد مطهرة [٢].

ومن الآيات أيضاً في خلق العين ما جعل الله لهذه العين من قوة الإبصار حتى في الضوء الخافت.

ومن الآيات أيضاً رؤية بعض المخلوقات لبعض الأشعة التي لا يراها الإنسان من ذلك مثلاً: رؤية النحل للأشعة فوق البنفسجية، ورؤية البومة للأشعة تحت الحمراء [٣]، فسبحان الخلاق العليم.

١٠- إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي

قال تعالى: ﴿أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ﴾ [يونس:٣١].

وهذا مشهد آخر من مشاهد هذا الكون، وهو مألوف لدينا، نراه ويتكرر أمامنا عشرات المرات، ولهذا تبلد الحس تجاهه، فضعف

---

(١) مع الطب في القرآن، ص٤١.

(٢) انظر خلق الإنسان بين الطب والقرآن، ص٣٤٠ وانظر ٣٣٨- ٣٣٩.

(٣) انظر العقيدة في الله، د. عمر الأشقر، ص١٣٨.

الشعور بمعاني العظمة ودلائل الربوبية فيه، وإخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي تتعدد معانيه كما ذكرها المفسرون:

فمنها: إخراج الإنسان الحي من النطفة، والعكس، وكذلك إخراج الطائر الحي من البيضة، والعكس.

ومنها: إخراج المؤمن من الكافر والعكس والمؤمن بمثابة الحي، والكافر بمثابة الميت.

ومنها: إخراج النبتة الحية من البذرة الميتة [1].

ولو قال قائل: إن النطفة،والبيضة، والنواة، تحتوي على مادة الحياة، كما ثبت في العلم الحديث، فالجواب على ذلك أن يقال: لنعد إلى نشأة الحياة فهل كان هناك مادة للحياة أصلاً؟ فالجواب قطعاً لا. ولا يستطيع أحدٌ الإجابة بنعم، إذ لو قال ذلك للزم الدور والتسلسل وهذا باطل.

وهذه شبه يثيرها الملاحدة، ليشككوا في صحة الوحي وأقوالهم مردودة، كما أنه ليس شرطاً موافقة القرآن الكريم لكل نظرية علمية، فكثير من هذه النظريات التي اعتقد الناس صحتها، ثبت بطلانها ومخالفتها للواقع [2].

وعلى العموم فإن ظاهرة إخراج الحي من الميت، وإخراج الميت من الحي من الدلائل الكونية، الدالة على وحدانية الرب وعلى قدرته على الخلق والإعادة.

---

(١) انظر زاد المسير (١/ ٣٧٠).

(٢) انظر فيما سبق: تفسير المنار (١١/ ٣٥٦- ٣٥٧)، ومجلة الأزهر العدد ٨ شوال ١٣٩٦هـ ص (١٢٨١- ١٢٨٢)، ومع الطب في القرآن، ص٥٥.

والواقع أن دلائل الكون شاهدة بوجود الرب تعالى، وربوبيته، وهذا لا ينكره إلا الملاحدة، حتى الحيوانات تشهد بذلك، فهاهو الهدهد يستدل على صحة توحيده بإخراج الله تعالى الخبء وهو الماء من السماء والأرض.

ويخاطب سليمان – عليه السلام – بأعظم التوحيد في قوله تعالى: ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ۝٢٥ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝٢٦ ﴾ [النمل:٢٥-٢٦] ويستدل بذلك أيضاً على أن معرفة الله تعالى فطرية لا تحتاج إلى نظر أو استدلال.

الاستدلال بالفطرة

إن الإقرار بالرب تعالى، أمر مستقر في الفطرة لا يحتاج إلى دليل، لمن هو سليم الفطرة، وعلى هذا اتفق سلف الأمة وأئمتها، وخالف في هذا أهل البدع من الجهمية [١] ، والمعتزلة [٢] ، وبعض الأشاعرة [١]

---

(١) أصحاب الجهم بن صفوان ، وهم من الجبرية الغالية، من آرائهم: نفي الصفات كلها، والقول بفناء النار، وأن الإيمان هو المعرفة فقد، وعندما ظهرت بدعهم، بترمذ، قتل مسلم بن أحوز الجهم بن صفوان سنة ١٢٤هـ، في آخر دولة بني أمية، (انظر المقالات، ص٢٧٩- ٢٨٠، وانظر الملل والنحل للبغدادي، ص١٤٥، وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١/٨٦).

(٢) أصحاب واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد، يقال: إن سبب ظهورها أن واصل بن عطاء كان تلميذاً للحسن البصري، فسئل الحسن عن مسألة الفاسق هل هو مؤمن أو كافر؟ فأظهر واصل القول بالمنزلة بين المنزلتين ثم اعتزل حلقة الحسن يدعو إلى بدعته، ومن آرائهم نفي الصفات، ونفي خلق الله لأفعال العباد، ووجوب إنفاذ الوعد والوعيد، وتخليد مرتكب الكبيرة في النار، وهم فرق كثيرة قد تصل إلى عشرين فرقة منها: الواصلية، والعمرية الهذيلية والنظامية .. الخ. (انظر الفرق بين الفرق للبغدادي،

، فقالوا: إن المعرفة لا تحصل إلا بالنظر [٢] ، ومنهم من قال بوجوب النظر [٣] ، وهذا القول باطل، فالفطرة السليمة لا تحتاج إلى النظر العقلي ولا الاستدلال لمعرفة الخالق، وإنما يحتاج ذلك من فسدت فطرته [٤] .

وهذا القول مخالف للكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

قال تعالى: ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ..﴾ [إبراهيم:١٠] . وقوله تعالى: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [الروم:٣٠] .

قال ابن كثير – رحمه الله –:

يقول تعالى: فسددت وجهك واستمر على الدين الذي شرعه لك من الحنيفية ملة إبراهيم، الذي هداك الله لها .. وأنت مع ذلك لازم

ص٩٣ وما بعدها، والملل والنحل (٥/٥٧- ٧٢) والملل والنحل للشهرستاني ١/٤٣ وما بعدها، واعتقادات فرق المسلمين والمشركين للرازي، ص٢٣ وما بعدها.

(١) الأشاعرة أصحاب أبي الحسن الأشعري، وكان في أول أمره من المعتزلة، ثم فارقهم وأسس المذهب الأشعري، ثم عاد في آخر حياته إلى مذهب أهل السنة والجماعة كما صرح في كتبه المتأخرة كالإبانة، ومقالات الإسلاميين، وإليه ينتسب الأشاعرة ومن آرائهم إثبات سبع صفات لله تعالى، ويخالفون أهل السنة في إثبات الكلام، وفي قولهم بالكسب وكان ظهورها في القرن الرابع الهجري. انظر الملل والنحل (١/٩٤- ١٠٣).

(٢) انظر مجموع الفتاوى (١٦/٣٣٠- ٣٤٠) مجموعة الرسائل المنيرية (٢/١٩٨ وما بعدها)، وشفاء العليل، ص٤٧٦- ٤٩٩، والمواقف للإيجي، ص٢٨- ٣٣، ودلائل التوحيد للقاسمي، ص(١٨٨- ١٨٩).

(٣) انظر شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار، ص٣٩، والمواقف ص٢٨- ٢٩، وتحفة المريد شرح جوهرة التوحيد لإبراهيم البيجوري، ص٢١- ٢٢.

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٦/٧٣).

فطرتك السليمة التي فطر الله الخلق عليها، فإنه تعالى فطر خلقه على معرفته وتوحيده" [1].

وفي الحديث عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: قال رسول اللهﷺ: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء هل تحسون فيها من جدعاء؟" ثم يقول أبو هريرة – رضي الله عنه – "فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم" [2].

و هذا القول لم يؤثر عن النبي ﷺ وهو المبعوث إلى الخلق جميعاً أبيضهم وأسودهم، عربهم وعجمهم، ولم ينقل لنا قط أنه قال لأحد لا يصح إسلامك حتى تستدل عليه بالنظر، فلو كان ذلك واجباً لبيَّنه ﷺ لأمته ونُقل واستفاض، ولكان ذلك أول ما تعلمه الأنبياء لأممهم.

ويلزم من هذه المقالة، القول بكفر أكثر أهل الأرض، لأن أكثرهم عوام لا يعرفون معنى النظروالاستدلال، بل إيمانهم بالله تعالى فطري، لم يحتج إلى شيء من ذلك، وهذا اللازم باطل إجماعاً[3].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٣٥٨).

(٢) رواه البخاري في كتاب الجنائز باب: إذا أسلم الصبي رقم: ١٢٩٣ (١/٤٥٦- ٤٥٧) ورواه أيضاً في باب ما قيل في أولاد المشركين رقم: ١٣ (١/٤٦٥) عن الزهري به بنحوه.

ورواه مسلم في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة، رقم: ٢٦٥٨ (٤/٢٠٤٧) به.

(٣) انظر فيما سبق: الفصل في الملل والنحل لابن حزم (٤/٦٧ وما بعدها)، والجامع لأحكام القرآن (٧/٣٣٠- ٣٣٣)، ومدارج السالكين (١/٥٩- ٦٠)، ودلائل التوحيد للقاسمي ص (١٩٣- ١٩٤)، ومنهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد لعثمان بن حسن (١/٢١٠- ٢١٣).

قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس:٢٢] .

في الآية تصوير رائع لموقف المعاندين، المكذبين لرسل الله، حتى إذا ركبوا البحر وعصفت الأمواج، وأحاطت بهم الشدائد، واستولى عليهم الخوف والهلع عند ذلك تستيقظ فطرهم التي هي مفطورة على توحيد الله فتلهج الألسنة بالدعاء، وتتعالى الصيحات، وتتجه القلوب إلى الخالق وحده، ويظهر صدق الالتجاء .. وهذا يصدر منهم تلقائياً بدون تقليد ولا نظر.

وفي هذا دليل على أن الخلق جبلوا على التوحيد، والالتجاء إلى الله في الشدائد، حتى الوحوش والبهائم ترفع رؤوسها إذا أصابها الجهد والجوع، فهذه جبلة في جميع المخلوقات [١] .

وفي الحديث عن عياض بن حمار [٢] – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال ذات يوم في خطبته: "ألا إن ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم، مما علمني يومي هذا كل مال نحلته عبداً، حلال، وإني خلقت عبادي حنفاء كلهم. وإنهم أتتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم، وحرمت عليهم ما أحْلَلْت لهم، وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٣٢٥/٨)، وفتح القدير للشوكاني (٤٣٤/٢- ٤٣٥) ودلائل التوحيد، ص١٩٢ ، وفي ظلال القرآن (١٧٧٤/٣).

(٢) عياض بن حمار بن أبي حمار بن مجاشع التميمي المجاشعي، صحابي سكن البصرة وروى عن النبي - صلى الله عليه وسلم - انظر الإصابة لابن حجر (٤٨/٥).

سلطانا، وإن الله نظر إلى أهل الأرض فمقتهم عربهم وعجمهم إلا بقايا من أهل الكتاب .. [1] الحديث.

ومن هنا نعلم أن دلالة الفطرة على الربوبية، أمر جبلي لا ينكره إلا معاند، حتى زعماء الكفر والشرك لم يكونوا ينكرون توحيد الربوبية، ولهذا جاءت الرسل، وأنزلت الكتب لتقرير توحيد الألوهية والدعوة إلى إخلاص العبادة لله وحده لا شريك له.

ثانياً: توحيد الألوهية

التوحيد مصدر وحَّد يوحد، توحيد، ومعناه التفرد، والانفراد [2].

وأما الألوهية فهي مأخوذة من آله، إلاهةً وألوهة، وهي العبادة، والجمع آلهة، والإله كل ما عبد بحق وهو الله عز وجل، أو بغير حق كالأصنام وغيرها مما يعبد من دون الله عز وجل [3].

وقيل مأخوذ من ولاه، وقيل لاه يلوه لياها وفيه أقوال أخرى [4] والأول المعتمد.

وأما معنى توحيد الألوهية من حيث **الشرع** فالمراد به إخلاص العبادة لله تعالى وحده لا شريك له، والعبادة هي "اسم جامع لكل ما

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم: ٢٨٦٥ (٤/١٩٧م)، ورواه أحمد في المسند (٤/١٦٢) عن قتادة به.

(٢) انظر الصحاح (٦/٢٢٢٣) ولسان العرب (٣/٤٥٠) مادة (وحد)، وبصائر ذوي التمييز (٥/١٦٩- ١٧٠).

(٣) انظر لسان العرب (١٣/٤٦٧ وما بعدها) مادة أله، والقاموس المحيط، ص١٦٠٣.

(٤) انظر المفردات في غريب القرآن للراغب، ص٢١- ٢٢.

يحبه الله ويرضاه من الأقوال، والأعمال الباطنة والظاهرة" [1] ، فلا يدعى إلا الله تعالى، ولا يستغاث إلا به، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يذبح إلا له، ولا يطاع إلا هو، ولا يرجى إلا هو .. الخ، وهو معنى لا إله إلا الله، أي لا معبود بحق إلا الله.

وهذا هو التوحيد الطلبي، وتوحيد القصد والإرادة، التوحيد العلمي الذي بينه جل وعلا في آيات كثيرة منها قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ۝٣ ﴾ [الكافرون:١-٣].

والذي من أجله بعث الله الرسل مبشرين ومنذرين فكل نبي أرسل في قومه فهو يدعوهم إلى توحيد الله جل وعلا وعدم الإشراك به، قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٢٣ ﴾ [المؤمنون:٢٣].

وهذا هود عليه السلام يقول: ﴿ ۞ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۝٦٥ ﴾ [الأعراف:٦٥].

وهذا صالح يقول: ﴿ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف:٧٣].

وهذا شعيب يقول: ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ﴾ [الأعراف:٨٥].

---

(١) العبودية لابن تيمية ص٤، ومجموع الفتاوى (١٤/٣٧٨- ٣٨٠)، وبدائع الفوائد لابن القيم (١/١٣٨).

وهكذا جميع الأنبياء والرسل يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٥].

ومن أجل هذا التوحيد كانت الخصومة بين الأنبياء وأقوامهم وأُنزلت لأجله الكتب، ومن أجله جرد السيف على أهل الشرك والجحود، ومن أجله خلقت الجنة والنار، وهذا التوحيد أنكره الكفار وأبوا قبوله مع اعترافهم بتوحيد الربوبية، ومع هذا فلم يقبل منهم، وكانوا من الخالدين في جهنم والعياذ بالله.

ويقول تعالى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿١٨﴾ ﴾ [يونس:١٨].

وفي السنة بين ّ الرسول ﷺ هذا التوحيد أكمل بيان وكان أول ما يدعو إليه المشركون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ففي حديث معاذ بن جبل لما بعثه إلى اليمن، قال له: "إنك تقدم على قوم من أهل الكتاب، فليكن أول ما تدعوهم إليه أن يوحدوا الله تعالى فإذا عرفوا ذلك، فأخبرهم أن الله افترض عليهم زكاة في أموالهم، تؤخذ من غنيهم فتر ُ د على فقيرهم، فإذا أقروا بذلك فخذ منهم، وتوق كرائم أموال الناس" [1].

---

(١) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم أمته إلى توحيد الله تبارك وتعالى رقم: ٦٩٣٧ (ج٦/٢٦٨٥)، ورواه أيضاً في كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة حديث رقم ١٣٣١ (٢/٥٠٥) به بنحوه، ورواه في كتاب

وعن معاذ بن جبل –أيضاً – قال النبي ﷺ : "يا معاذ أتدري ما حق الله على العباد؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، أتدري ما حقهم عليه؟ قال: الله ورسوله أعلم، قال: ألا يعذبهم" (١)

وهذه الأحاديث وغيرها، دليل على مكانة هذا التوحيد، وأنه أعظم الأعمال وعليه مدار صلاحها وفسادها (٢) .

الزكاة أيضاً باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة عن يحيى بن عبدالله به بنحوه، حديث رقم: ١٣٨٩ (ج٢/٥٢٩).

ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام رقم: ٢٩ (١/٥٠) عن زكريا بن إسحاق بنحوه وزاد (واتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب)، ورواه أيضاً في كتاب الإيمان من طريق أخرى.

(١) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب ما جاء في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم إلى توحيد الله تبارك وتعالى حديث رقم ٦٩٣٨ (ج٦/٢٦٨٥). ورواه في كتاب الجهاد باب اسم الفرس والحمار حديث ٢٧٠١ (ج٣/٢٧٠١) من طريق أخرى عن معاذ بن جبل بنحوه وزاد (فقلت يا رسول الله، أفلا أبشر به الناس؟ قال: لا تبشرهم فيتكلوا)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعاً، حديث رقم: ٥٠ (ج١/٥٩)، ورواه في كتاب الإيمان بطرق أخرى أيضاً.

(٢) وإذا علم ذلك وظهر لنا مكانة هذا التوحيد وأنه التوحيد الذي دعت إليه الرسل وهم أكمل الناس توحيداً، عرفنا ضلالة الصوفية في تقسيمهم التوحيد إلى ثلاثة أقسام توحيد العامة الذي يصح بالشواهد، ويقصدون به توحيد الألوهية التي دعت إليه الرسل، والنوع الثاني توحيد الخاصة وهو الذي يثبت بالحقائق، والنوع الثالث توحيد خاصة الخاصة وهو توحيد اختصه الحق لنفسه واستحقه لقدره، وضلالهم – والعياذ بالله – واضح للعيان، فهل يتصور أن يكون توحيدهم أكمل من توحيد الأنبياء والرسل هذا التوحيد الذي دلت عليه الدلائل والبراهين، وظهوره وجلاؤه، وشهادة الفطر والعقول به من أعظم الأدلة على أنه أعظم مراتب التوحيد، ونحن نعلم أن الدين قد كمل وأن رسالة محمد صلى الله عليه وسلم هي خاتمة الرسالات قال تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ

الاستدلال بتوحيد الربوبية على الألوهية.

أولاً: الدلائل الكونية التي تدل على ربوبيته سبحانه وتعالى :

مما سبق بيانه وتفصيله [1] من خلق السماوات والأرض، وتدبير الأمر، وخلق الشمس القمر، واختلاف الليل والنهار، وجريان الفلك في البحر، والرياح التي تجري بأمر الله، والرزق، وإخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي، وبدء الخلق وإعادته وغير ذلك من المظاهر الكونية التي تدل دلالة واضحة على أن ذلك الخالق، البارئ، المصور، هو المستحق للعبادة وحده دون سواه.

فكيف تصرف العبادة لغيره وهو الخالق، الرب وجميع الخلق لا حول لهم ولا قوة، قال جل وعلا: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ [يونس:٣].

والمعنى أفلا تصرفون العبادة له، وهون خالقكم، ورازقكم؟! وكيف تصرفونها إلى آلهة ليست لها من صفات الربوبية شيء؟!

لاشك أن هذا من أعظم الضلال.

فكل من عبد غير الله، أو صرف شيئاً من أنواع العبادة لغير الله فقد حاد عن السبيل وسلك سبيل الغواية، فهذه الأدلة الكونية

﴿ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾ [المائدة: ٣] فلماذا لم يبين ذلك لأمته عليه الصلاة والسلام وكيف لنا أن نعلم ذلك إن لم يعلمنا إياه محمد صلى الله عليه وسلم وبيان ضلال هؤلاء مبسوط في مواضعه من كتب السلف وليس هذا مجاله. انظر مدارج السالكين (٣/٤٨٥) وما بعدها.

(١) انظر ص٩ وما بعدها.

العظيمة لابد لها من موجد واجب الوجود، وهو الله سبحانه وتعالى، فلا خالق إلا هو ، وهو المعبود المستحق للعبادة وحده دون سواه.

قال تعالى: ﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُاْ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٣٤﴾ ﴾ [يونس:٣٤].

ولهذا أعقب الله تعالى هذا الاستفهام بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [يونس:٣٦].

ثانياً: دليل الفطرة:

إن الفطرة لا تتوجه إلى غير خالقها، ودليل ذلك ما ذكره الرب جل وعلا في قوله: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ ﴾ [يونس:٢٢].

فعند اجتماع هذه الأسباب الموجبة للخوف، المؤذنة بالهلاك، يحصل الدعاء لله والإخلاص له ظاهراً وباطناً، مع التزام الشكر لله جل وعلا فإذا استجاب لهم رجعوا على حالهم من دعاء غيرهم والتعلق بما سواه [1] قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [يونس:٢٣].

---

(١) انظر تفسير الفخر الرازي ج١٣/٢٣.

وهذا من أبرز دلائل التوحيد فمادام أنهم لا يلجئون في الشدة إلا إلى الله ولا يكشفها عنهم إلا هو، إذن فالإخلاص والتوحيد هو المطلوب في سائر الأوقات والأزمان، ولما ركب عكرمة بن أبي جهل [1] البحر وماج البحر وأخذوا يتضرعون إلى الله جل وعلا كان ذلك سبب إسلامه والقصة، كما رويت عن سعد بن أبي وقاص قال: لما كان يوم فتح مكة أمن رسول الله ﷺ الناس إلا أربعة نفر وامرأتين وقال اقتلوهم وإن وجدتموهم متعلقين بأستار الكعبة عكرمة بن أبي جهل، وعبدالله بن خطل [2] ومقيس بن صبابة [3] ، وعبدالله بن أبي السرح

(١) عكرمة بن أبي جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي كان كأبيه من أشد الناس على رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أسلم عام الفتح وجاهد في سبيل الله في قتال المرتدين في زمن أبي بكر رضي الله عنهما، مات شهيداً بأجنادين، وقيل يوم اليرموك سنة ١٥هـ وقيل سنة ١٣(انظر الإصابة ٤/٢٥٨) (وانظر تهذيب التهذيب ٧/٢٣٠) (وانظر الأعلام ٤/٢٤٤- ٢٤٥).

(٢) عبدالله بن خطلٍ رجل من بني تميم بن غالب، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بقتله لأنه كان مسلماً، فبعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم مصدقاً وبعث معه رجلاً من الأنصار، وكان معه مولى له يخدمه .. فأمره بأمر فلم يعمله فقتله، ثم ارتد مشركاً وكان له قيناتان تهجوان النبي صلى الله عليه وسلم (انظر السيرة ٤/٧٤) (وانظر فتح الباري ٧- ٦٠٤).

(٣) مقيس بن صبابة بن حزن بن يسار الكناني القرشي: شاعر، اشتهر في الجاهلية، كانت إقامته بمكة، وهو ممن حرم على نفسه الخمر في الجاهلية. شهد بدر مشركاً .. وأسلم أخ له اسمه هشام، فقتله رجل من الأنصار خطأ، وأمر الرسول صلى الله عليه وسلم بالدية، فقبضها. ثم ترقب قاتل أخيه حتى ظفر به وقتله، وارتد ولحق بقريش، وقال شعراً في ذلك، فأهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه، فقتله نميلة بن عبدالله الليثي يوم فتح مكة، وقيل: رآه المسلمون بين الصفا والمروة فقتلوه بأسيافهم" (الأعلام للزركلي ٧/٢٨٣) وانظر السيرة (٤/٧٥).

[1]فأما عبدالله بن خطل فأدرك وهو متعلق بأستار الكعبة فاستبق إليه سعيد بن حريث [2] وعمار بن ياسر وكان أشب الرجلين فقتله، وأما مقيس بن صبابة فأدركه الناس في السوق فقتلوه، وأما عكرمة فركب البحر فأصابتهم عاصفة فقال أصحاب السفينة أخلصوا آلهتكم لا تغني عنكم شيئاً هاهنا، فقال عكرمة والله لئن لم ينجني من البحر إلا الإخلاص لا ينجني في البر غيره اللهم إن لك علي عهداً إن أنت عافيتني مما أنا فيه أن آتي محمداً ﷺ حتى أضع يدي في يده فلأجدنه عفواً كريما، فجاء فأسلم .. [3] الحديث، فهذه الفطرة لا تتجه إلى غير خالقها، ولكن قد يعتريها غطاء من الشهوات والشبهات فيصرفها عن بارئها، لكنها عندما تفيق منه لا تتجه إلا إلى بارئها.

ومن الآيات أيضاً التي فيها بيان استلزام توحيد الربوبية لتوحيد الألوهية قوله تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ

---

(١) عبدالله بن سعد بن أبي السرح القرشي العامري، من بني عامر بن لؤي من قريش، فاتح أفريقية، وفارس بني عامر من أبطال الصحابة، أسلم قبل فتح مكة، وهو من أهلها، وكان من كتاب الوحي للنبي صلى الله عليه وسلم، مات بعسقلان فجأة وهو قائم يصلي (سنة ٣٨هـ) وهو أخو عثمان بن عفان من الرضاع، (الأعلام (٤/٨٨-٨٩) وانظر السيرة (٤/٧٢- ٧٣).

(٢) سعيد بن حريث بن عمرو بن عثمان بن عبدالله المخزومي، أسلم قبل فتح مكة، مات بالكوفة وقيل قتل يوم الحرة، (الإصابة ٣/٩٥).

(٣) رواه النسائي كتاب تحريم الدم، باب: الحكم في المرتد، حديث رقم: ٤٠٦٧ (٧/١٥- ١٠٦)، أبو داود في كتاب الجهاد، باب: قتل الأسير ولا يُعرض عليه الإسلام، رقم: ٢٦٨٣ (٢/٦٥- ٦٦) عن سعد بن أبي وقاص مختصر وقال الهيثمي: "رواه أبو يعلى والبزار.. ورجالهما ثقات. ا.هـ، مجمع الزوائد (٦/١٦٩) وروى بأطول منه البيهقي في الدلائل (٥/٩٨)، وانظر صحيح سنن النسائي للألباني (٣/٨٥٢- ٨٥٣).

﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ ۝٦٦﴾ [يونس:٦٦].

وقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمۡ فِي شَكّٖ مِّن دِينِي فَلَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِينَ تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنۡ أَعۡبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِي يَتَوَفَّىٰكُمۡ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝١٠٤﴾ [يونس:١٠٤].

فهذه الأدلة الكونية في الآفاق وفي الأنفس من أصرح الأدلة على ألوهية الرب تعالى، ولهذا من كانت فطرته سليمة، فإنه لا يجد بداً من التسليم والإيمان بالله تعالى رباً ومعبوداً.

كما جاء في الحديث الذي رواه النسائي عن أنس قال "نهينا في القرآن أن نسأل النبي ﷺ عن شيء فكان يعجبنا أن يجيء الرجل العاقل من أهل البادية فيسأله، فجاء رجل من أهل البادية فقال يا محمد أتانا رسولك فأخبرنا أنك تزعم أن الله عز وجل أرسل، قال: صدق. قال: ومن خلق السماء؟ قال: الله. قال: فمن خلق الأرض؟ قال: الله، قال: فمن نصب فيها الجبال؟ قال: الله، قال: فمن جعل فيها المنافع؟ قال: الله. قال: فبالذي خلق السماء والأرض ونصب فيها الجبال وجعل فيها المنافع آلله أرسلك؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا زكاة أموالنا. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا؟ قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا صوم شهر رمضان في كل سنة. قال: صدق. قال: فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا قال: نعم. قال: وزعم رسولك أن علينا الحج من استطاع إليه سبيلاً قال صدق. قال فبالذي أرسلك آلله أمرك بهذا. قال نعم. قال: فوالذي بعثك

بالحق لا أزيدن عليهن شيئاً ولا أنقص فلما ولى قال النبي ﷺ لئن صدق ليدخلن الجنة" [1].

ولهذا كان الشرك من أعظم الذنب عند الله، كما جاء في الحديث عن عبدالله بن مسعود قال: "سألت النبي ﷺ : أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خالقك. قلت: إن ذلك لعظيم. قلت:ثم أي؟ قال: وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك، قلت: ثم أي؟ قال: إن تراني حليلة جارك" [2] .

ومن هنا يتبين استلزام توحيد الربوبية، لتوحيد الألوهية وتضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية، ومعنى ذلك أن من آمن بالله رباً، خالقاً ورازقاً، فهذا يستلزم ألا يصرف العبادة لغيره، إذ لا يستحقها إلا من اتصف بصفات الكمال وهو الله وحده جل وعلا.

---

(١) رواه النسائي في كتاب الصيام باب وجوب الصيام ح رقم ٢٠٩١ (ج٤/١٢١-١٢٢)، والحديث رواه البخاري مختصراً بنحوه من حديث أنس بن مالك بمعناه في كتاب العلم باب ما جاء في العلم حديث: ٦٣ (١/٣٥). ورواه مسلم مختصراً عن أنس بن مالك في كتاب الإيمان باب بيان الصلوات أحد أركان الإسلام رقم: ٨ (١/٤٠).

(٢) رواه البخاري في كتاب التفسير باب قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أنداداً وأنتم تعلمون) حديث رقم: ٤٢٠٧ (ج٤/١٦٢٦) وفي باب قوله تعالى: (والذين يدعون مع الله إلهاً آخر) الآية ح رقم: ٤٤٨٣ (ج٤/١٧٨٤) ورواه أيضاً في كتاب الأدب باب قتل الولد خشية أن يأكل معه ح رقم: ٥٦٥٥ (ج٥/٢٢٣٦) وفي كتاب المحاربين من أهل الكفر والردة باب إثم الزناة ح رقم ٦٤٢٦ (ج٦/٢٤٩٨) وفي كتاب التوحيد باب قوله تعالى: (فلا تجعلوا لله أندادا) ح رقم ٧٠٨٢ (ج٦/٢٧٣٤) وفي باب قوله تعالى: (يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك) الآية ح رقم ٧٠٩٤ ج٦/٢٧٣٩.
ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب كون الشرك أقبح الذنوب وبيان أعظمها حديث (١٤١) (ج١/٩٠) عن عبدالله بن مسعود به.

وأما ما تضمن توحيد الألوهية لتوحيد الربوبية فمعناه، أن من عبد الله وحده لا شريك له، لابد أن يكون قد استقر في قلبه أنه رب العالمين، وأنه الخالق، والرازق، المدبر [1] .

ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات

إن الإيمان بأسماء الله وصفاته هو القسم الثالث من أقسام التوحيد، وهو ضمن التوحيد العلمي، الاعتقادي، الخبري.

ومعرفة هذا التوحيد والإيمان به من أكبر عوامل محبة الله عز وجل في القلوب وزيادتها، وكذلك من عوامل زيادة الإيمان [2] .

ومعنى الإيمان بهذا التوحيد: الإيمان بكل ما وصف الله به نفسه في كتابه، أو وصفه به رسوله ﷺ فيما ثبت عنه، على الحقيقة من غير تشبيه ولا تمثيل ولا تكييف ولا تعطيل، ولا تحريف.

وأسماء الله تعالى كلها حسنى، قال تعالى: ﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ ﴾ [الأعراف:١٨٠] .

ومعنى كونها حسنى أن "كل اسم دال على صفة كمال عظيمة، وبذلك كانت حسنى.

فإنها لو دلت على غير صفة، بل كانت علماً محضاً، لم تكن حسنى.

وكذلك لو دلت على غير صفة، ليست بصفة كمال، بل إما صفة نقص أو صفة منقسمة إلى المدح والقدح، لم تكن حسنى" [1] .

---

(١) انظر العبودية، ص (٤٨)، ومدارج السالكين (٤١١/١)، وعقيدة التوحيد في القرآن لمحمد ملكاوي، ص (١٢٢- ١٢٣).

(٢) انظر مدارج السالكين (١٧/٣).

إن الرب جل وعلا كما قد تسمى بأسماء، فقد وصف نفسه جل شأنه بصفات، كما لا تليق إلا به، وباب الصفات أوسع من باب الأسماء، فقد يتصف الله عز وجل بصفة لا يتسمى بها، على سبيل المثال:الاستواء صفة له لكن لا نسميه مستو ، وكذلك الكلام من صفاته جل وعلا لكن لا نطلق عليه اسم (متكلم) فلا يقول الداعي مثلاً: يا متكلم اغفر لي، وقس على هذا.

أما الأسماء فهي تدل على معانيها من الصفات فكل اسم نثبت له ما يدل عليه من صفات الكمال بخلاف المخلوق الذي قد يسمى سعيداً وهو شقي،ويسمى أميناً وهو خائن .. لأن أسماء المخلوقين أعلام محضة.

وصفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين:

أولاً : **صفات ثبوتية** كالسميع، والعليم، والقدير، والحي، .. وهي كلها صفات كمال، وتنقسم الثبوتية إلى ثلاثة أقسام:

١ - صفات ذاتية: وهي الصفات الملازمة لذاته سبحانه لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم، والحياة، والسمع، والبصر، والقدرة، والوجه واليدين.

٢- صفات فعلية تتعلق بإرادته ومشيئته، كالكلام والنزول، والمجيء، والإستواء... الخ.

٣- صفات ذاتية فعلية:أي أن الله تعالى متصف بها أزلاً وأبداً، وأنها في الوقت نفسه تحدث آحادها بمشيئته وإرادته، كالكلام.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن (١٢٠/٣).

ثانياً: صفات سلبية: وهي ما نفاها الله عز وجل عن نفسه كقوله تعالى: ﴿ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴾ [الكهف:٤٩] ، ولا تقتضي النفي المطلق بل النفي فيها، لإثبات ضده من الكمال لأن النفي المحض لا كمال فيه ولا مدح، ويوصف به الجماد كما يقال الجدار لا يظلم، لعجزه وعدم قدرته وهذا نقص ينزه الرب عنه فلا يظلم لكمال عدله، وكقوله تعالى: ﴿ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ ﴾ [سبأ:٣] لكمال علمه [1] .

بيان منهج السلف في الأسماء والصفات

السلف الصالح هم أهل السنة والجماعة، الذين ساروا على نهج نبيهم محمد ﷺ ، واجمعوا على الحق ولم يخالفوه، ومنهجهم في باب الأسماء والصفات، وسط بين التشبيه والتعطيل، فهم يثبتون الأسماء والصفات لله تعالى إثباتاً بلا تشبيه، ولا تمثيل، ولا تكييف ولا تعطيل ولا تحريف، قال تعالى:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [الشورى:١١] .

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ردٌ على المشبهة،﴿ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ ردٌ على المعطلة، ويقول تعالى: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤ ﴾ [الإخلاص:١-٤] فالسلف اجتنبوا التعطيل في مقام النفي والتنزيه، وتجنبوا التشبيه في مقام الإثبات. وضابطهم في هذا الباب إن أسماء الله وصفاته توقيفية فلا نسمي الله جل وعلا إلا بما سمى به نفسه، وكذلك لا نصفه إلا بما وصف به نفسه أو جاء على لسان رسول الله ﷺ ، فلا نثبت إلا ما أثبته

---

(١) انظر التدمرية، ص٥٧- ٥٩، وانظر الحق الواضح المبين، ص٦ وما بعدها مكتبة المعارف، الرياض، وانظر القواعد المثلى، ص٢١ وما بعدها.

الله ولا ننفي إلا ما نفاه الله عن نفسه وأسمائه جل وعلا حق على حقيقته "وليس فيه لغز ولا أحاج بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه، لاسيما إذا كان المتكلم أعلم الخلق بما يقول"[1].

وهذا مذهب السلف قاطبة روى الدارقطني عن الوليد بن مسلم[2]، قال:"سألت الأوزاعي ومالك بن أنس وسفيان الثوري، والليث بن سعد، عن هذه الأحاديث التي فيها الرؤية وغير ذلك، فقالوا أمضها بلا كيف" [3] .

ومن منهج أهل السنة والجماعة إن كل اسم من أسمائه تعالى، إذا أطلق عليه فهو يتضمن إثبات صفة له سبحانه وتعالى لأن أسماءه تعالى أعلام وأوصاف، ولو كانت أعلاماً محضة لم تكن محمودة، ولساغ إبدال بعضها ببعض، ولأصبح معنى العزيز، والرحيم، والقوي .. واحداً وأصبحت مترادفة، وهذا باطل، ونفي هذه المعاني هو الإلحاد في أسماء الرب تعالى حيث قال:﴿ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾

(١) مجموع الفتاوى (٥/٢٦- ٢٧).

(٢) "الوليد بن مسلم القرشي، أبو العباس الدمشقي، ثقة لكنه كثير التدليس والتسوية مات سنة ١٩٥" التقريب ص٥٨٤، وانظر ترجمته في ميزان الاعتدال (٤/٣٤٧- ٣٤٨) وتهذيب التهذيب (١١/١٣٣- ١٣٤).

(٣) رواه الدارقطني في كتاب الصفات ص٧٥، ورواه الذهبي في العلو عن الوليد بن مسلم (المختصر رقم ١٣٧، ص١٤٣) وروي أيضاً نحوه رقم: ١٣٤ ص١٤٢، وقال الألباني في المختصر: "إسناده صحيح رجاله كلهم ثقات .. ا.هـ. مختصر العلو: ص١٤٢.

﴾ [الأعراف:١٨٠]. وأيضاً لو لم تتضمن صفات لم يجز أن يخبر بأفعالها فنقول يسمع، ويبصر، ويعلم.

وكل اسم من أسماء الله تعالى يدل على المسمى بثلاث دلالات وهي دلالة المطابقة، والتضمن، واللزوم، فهو يدل على الذات والصفة بالمطابقة، ويدل على الذات بالتضمن، ويدل على الصفة بمفردها بالتضمن، ويدل على الصفات الأخرى باللزوم فمثلاً السميع يدل على الذات وعلى صفة السمع بالمطابقة، ويدل على الذات بمفردها بالتضمن، ويدل على صفة السمع بمفردها بالتضمن،ويدل على الصفات الأخرى كالحياة، والإرادة .. باللزوم، لأن من شأن السميع أن يكون حياً، مريداً، قادراً .. وكذلك سائر الصفات [١] .

قال أبو حنيفة – رحمه الله – في الفقه الأكبر بعد ذكره الصفات وأنها على قسمين ذاتية وفعلية: "لم يزل ولا يزال بأسمائه وصفاته لم يحدث له اسم ولا صفة لم يزل عالماً بعلمه، والعلم صفة في الأزل، وقادراً بقدرته، والقدرة صفة في الأزل، ومتكلماً بكلامه والكلام صفة في الأزل،وخالقاً بتخليقه والتخليق صفة في الأزل .. وفعل الله تعالى غير مخلوق، وصفاته في الأزل غير محدثة ولا مخلوقة فمن قال: إنها مخلوقة أو محدثة، أو وقف أو شك فيها فهو كافر بالله تعالى" ا.هـ [٢] .

---

(١) انظر مدارج السالكين (١/٢٨- ٣١)، وانظر بدائع الفوائد (١/١٦٢).

(٢) الفقه الأكبر مع شرحه ص١٨٠.

وروى الذهبي عن يونس بن عبدالأعلى [1] قال: سمعت الشافعي يقول: "لله تعالى أسماء وصفات لا يسع أحد قامت عليه الحجة ردها"[2] .

وروى اللالكائي عن محمد بن الحسن قال: اتفق الفقهاء كلهم من المشرق إلى المغرب على الإيمان بالقرآن والأحاديث التي جاء بها الثقات عن رسول الله ﷺ في صفة الرب عز وجل من غير تغيير ولا وصف، ولا تشبيه، فمن فسر اليوم شيئاً من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبي ﷺ وفارق الجماعة فإنهم لم يصفوا ولم يفسروا ولكن أفتوا بما في الكتاب والسنة ثم سكتوا فمن قال بقول جهم فقد فارق الجماعة لأنه قد وصفه بصفة لا شيء" [3] .

ونقل شيخ الإسلام ابن تيمية عن الإمام أحمد – رحمهما الله – قوله: لا يوصف الله إلا بما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله ﷺ من غير تحريف، ولا تعطيل ومن غير تكييف، ولا تمثيل، بل يثبتون له ما أثبته لنفسه من الأسماء الحسنى، والصفات العليا، ويعلمون أنه:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] : لا في صفاته، ولا في ذاته، ولا في أفعاله ا.هـ [4] .

---

(١) يونس بن عبدالأعلى، أبو موسى الصدفي، وثقه أبو حاتم، ونعتوه بالحفظ والعقل .. ووثقه ابن حجر مات سنة ١٦٤هـ، (انظر ميزان الاعتدال ٤/٤٨١)، (وانظر التقريب ص٦١٣).

(٢) رواه الذهبي (المختصر ص١٧٧) وقال الذهبي: قد تواتر عن الشافعي ذم الكلام وأهله وكان شديد الاتباع للآثار في الأصول والفروع .. ا.هـ.

(٣) شرح أصول الاعتقاد رقم ٧٤٠ (٣/٤٣٢- ٤٣٣).

(٤) مجموع الفتاوى ٥/٢٥٧، وانظر (٥/٥٨- ٥٩)، وانظر معارج القبول ١/٣٦٢-٣٦٥.

أما المخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة، فهم طائفتان:

الأولى: المشبهة[1] وهم صنفان فصنف: شبهوا ذات البارئ بذات غيره، وصنف شبهوا صفاته بصفات غيره.

ومجرد التأمل لهذا المذهب وتصوره، كاف في الرد عليه وبيان شناعته، فهم لم يعقلوا من معاني الصفات إلا على ما يفهمونه من صفات المخلوقين فجعلوا الخالق كالمخلوق، ولو أنّ أحداً من الخلق قال لشخص عظيم من الناس، إن يدك كيد الرجل الضعيف الهزيل، أو كيد الكلب أو الخنزير لاشتد نكيره لذلك، وعظم الأمر عليه، فكيف بالخالق – جل وعلا [2].

والله تعالى يقول عن نفسه:﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ [الشورى:١١] .

الثانية: المعطلة للصفات، الذين يعطلون – الرب – تعالى عن أسمائه وصفاته كالجهمية، والفلاسفة [3] وغيرهم [4] .

---

(١) أصحاب هشام بن الحكم الرافضي المتوفى سنة ١٩٠ في خلافة المأمون، وهم فرق شتى: منهم السبابية، والبيانية اتباع بيان بن سمعان، والمغيرية، والمنصورية، منهم الخطابية والحلولية .. وغيرهم (انظر المقالات ص ٢٠٩، والفرق بين الفرق ص ٢١٤- ٢١٩ والملل والنحل للشهرستاني ١٠٣/١ وما بعدها، والأعلام (٨٥/٨).

(٢) انظر التوحيد لابن خزيمة (١٩٦/١).

(٣) هم أقسام فمنهم القدماء أصحاب أفلاطون وأرسطوا طاليس، ومنهم الفلاسفة المشاءون وأصحاب الرواق، وأساطين الحكمة، وفلاسفة الإسلام من أمثال الكندي والفارابي وزعيمهم ابن سينا، وفلاسفة الإسلام اتبعوا طريقة أرسطوا طاليس في جميع ما ذهب إليه .. أنكروا المعاد الأجسام، ونفوا الصفات .. ولهم آراء أخرى شنيعة. انظر الملل والنحل (٦٠/١، ١٥٨ وما بعدها).

(٤) انظر الرسالة التدمرية لابن تيمية ص١٣- ١٦، ومعارج القبول (٣٦٩/١- ٣٧٣).

أو يثبتون الأسماء دون الصفات كالمعتزلة وشبهتهم في ذلك إن إثبات الصفات، وهي شيء زائد عن الذات يستلزم تعدد القدماء و يستلزم عندهم التجسيم والتشبيه!.

ومن المعطلة أيضاً من أثبت الأسماء وبعض الصفات، ونفي البعض الآخر كجمهور الأشاعرة، والماتريدية [1] ومن وافقهم [2]، ومذهب المعطلة يعود إلى المشبهة لأن المعطلة شبهوا أولاً ثم عطلوا ثانياً، ثم شبهوا أخيراً بالممتنعات والجمادات، فالجميع يلتقون في نقطة واحدة [3].

(١) اتباع أبي منصور محمد بن محمد بن محمود الماتريدي، وهو من أئمة علماء الكلام نسبته إلى ما تريد (محلة بسمرقند) توفي سنة ٣٣٣هـ، عاصر أبا الحسن الأشعري، من آرائه: إن معرفة الله مدركة بالعقل، وإن أفعال الله تعالى أرادها لحكمة اختارها، وإن كلام الله هو المعنى القائم بذاته وأنها قديمة. وإثبات رؤية الله تعالى في الآخرة وله آراء أخرى، انظر الأعلام (١٩/٧). وانظر جامع الفرق والمذاهب الإسلامية ص١٧٠- ١٧١، وكتاب أبي منصور الماتريدي حياته وآراؤه.

(٢) انظر الإرشاد للجويني ص٧٧- ٧٨، وأركان الإيمان لوهبي سليمان ص٣٦.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٢٧/٥).

الأصل الثاني من أصول الإيمان
الإيمان بالملائكة

تعريفهم:

الملائكة أصلهاٱلك ٌ بتقديم الهمزة، من الألوك، وهي الرسالة، ثمقلبت وقدَّمت اللام فقيل مَلاك .. ثم تركت همزته لكثرة الاستعمال، فقيل ملَك ٌ ، فلما جمعوها ردوها إليه فقالوا ملائكة وملائك .." [1] وقيل أصله: ألك [2] ، قيل أصله: "ل أ ك" [3] وكلها مشتقة من الرسالة.

والملائكة في اصطلاح الشرع عالم غيبي مخلوقون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، لهم قدرة على التشكل بأشكال مختلفة، عباد الله المكرمون، خلقهم الله من نور وأسكنهم السماء، لا يوصفون بذكورة، ولا أنوثة، وليسوا بنات الله ولا أولاد الله جل وعلا، وهم من عالم الغيب الذي أمرنا بالإيمان به، ولهم صفات عظيمة، ووظائف جسيمة [4] منحهم الله تعالى الانقياد التام لأمره والقوة على تنفيذه.

الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة ومقتضاه:

والأدلة على وجوب الإيمان بهم في قوله تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ

(١) الصحاح (٤/١٦١١).

(٢) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/٥٢٤).

(٣) انظر المرجع السابق نفس الجزء والصفحة، والنهاية في غريب الحديث (٤/٣٥٩)، ولسان العرب (١٠/٩٦).

(٤) انظر منهاج السنة (٢/٥٣٣- ٥٣٨)، والإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة للشيخ صالح الفوزان ص ٥- ٦.

وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ۚ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقوله تعالى: ﴿ لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ ﴾ [البقرة:١٧٧] الآية. ومن ينكرهم فهو كافر بنص القرآن قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ ۚ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦].

والإيمان بهم يقتضي ما يلي:-

أولاً: الإيمان بوجودهم.

ثانياً: الإيمان بأنهم عباد الله المكرمون، لا يسبقونه بالقول، وهم بأمره يعملون، وهذا ينفي اعتقاد أنهم متولدون عن الله عز وجل، أو إنهم عقول فعالة، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

ثالثاً: الإيمان بهم على سبيل الإجمال والتفصيل، فالإجمال بهم جميعاً، والتفصيل فيمن ذكرهم الله جل وعلا في كتابه، أو ذكره لنا رسوله ﷺ في سنته مما ثبت وصح عنه كجبريل،

وميكائيل، وإسرافيل، ورضوان خازن الجنة، ومالك خازن النار وحملة العرش (الكربيون)، وملك الموت [1].

رابعاً: الإيمان بما جاء من صفاتهم، ومن ذلك أنهم خلقوا من النور، وأن لهم أجساماً عظيمة، وأن لهم أجنحة قال تعالى: ﴿ **ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُوْلِيٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ يَزِيدُ فِي ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝١** ﴾ [فاطر:١].

وفي الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ: **"إذا قضى الله الأمر في السماء، ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً لقوله، كأنه سلسلة على صفوان [2] قال علي [3]: وقال غيره: صفوان ينفذهم ذلك – فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربُكم قالوا الحق وهو العلي الكبير"** [4].

---

(١) قال ابن كثير – رحمه الله – : "وأما ملك الموت فليس مصرح له باسمه في القرآن ولا في الأحاديث الصحاح، وقد جاء تسميته في بعض الآثار بعزرائيل والله أعلم ا.هـ البداية والنهاية (١/٤٢).

(٢) "الصفوان: الحجرُ الأملس. وجمعه صُفِيٌّ وقيل هو جمع، واحده صَفْوانَة" النهاية في غريب الحديث (٣/٤١).

(٣) علي بن عبدالله أحد رواة الحديث وهو شيخ البخاري.

(٤) رواه البخاري في كتاب التوحيد باب قوله تعالى: ﴿ **وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ** ﴾ الآية. رقم ٧٠٤٣ (٦/٧٢٠) وفي كتاب التفسير أيضاً في باب قوله: ﴿ **إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ مُّبِينٌ** ﴾ رقم ٤٥٢٤ (٤/١٧٣٦) في كتاب التفسير أيضاً في باب: ﴿ **حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ** ﴾ .. الآية، رقم ٤٥٢٢ (٤/١٨٠٤) مطولا، ورواه الترمذي في التفسير باب تفسير سورة سبأ رقم ٣٢٢١ (ج٨/٣٥٧) عن سفيان به وزاد في آخره "والشياطين بعضهم فوق بعض".

ومن صفاتهم أيضاً القوة في العبادة كما وصفهم جل ذكره بقوله: ﴿ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيۡلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفۡتُرُونَ ﴿٢٠﴾ ﴾ [الأنبياء:٢٠].

ومن صفاتهم أيضاً جمال المنظر وحسنه وبهاؤه كما وصف ذلك عمر – رضي الله عنه – جبريل عندما أتى رسول الله ﷺ في حديث جبريل ومن صفاتهم أيضاً التشكل بأشكال مختلفة، كما في حديث جبريل عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ كان يوماً بارزاً للناس، إذ أتاه رجلٌ يمشي، قال: يا رسول الله ما الإيمان؟ قال: "الإيمان: أن تؤمن بالله وملائكته ورسله ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر". قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال: "الإسلام: أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان". قال: يا رسول الله ما الإحسان؟ قال: "الإحسان: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه سبحانه وتعالى يراك". قال: يا رسول الله متى الساعة؟ قال: "ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت المرأة ربتها، فذاك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رؤوس الناس، فذاك من أشراطها، في خمس لا يعلمهن إلا الله: "إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام"، ثم انصرف الرجل، فقال:ردوا علي ّ . فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئاً، فقال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم" [1].

(١) رواه البخاري في كتاب التفسير باب "إن الله عنده علم الساعة"رقم ٤٤٩٩(ج٤/١٧٩٣)، وفي كتاب الإيمان باب سؤال جبريل عن الإيمان والإسلام والإحسان عن أبي حيان بنحوه ورقم الحديث ٥٠ (١/٢٧)، ورواه مسلم في كتاب الإيمان باب الإيمان والإسلام والإحسان، عن أبي حيان به رقم ٩ (١/٣٩) وفي الباب روايات عدة.

فقد أتاه في صورة أعرابي، وقد يأتيه – عليه الصلاة والسلام – في صورة دحية الكلبي [1] رضي الله عنه، وكما في حديث الثلاثة من بني إسرائيل الأبرص، والأقرع، والأعمى الذين أرسل الله إليهم ملكاً على كل واحد منهم ليبتليهم [2] في صورة رجل، وكما في إرسال الله جل وعلا ملكاً إلى مريم – عليها السلام – وأيضاً الملائكة الذين جاءوا إلى لوط – عليه السلام – في صورة شبان حسان الوجوه وإلى إبراهيم – عليهم السلام – قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِٱلْبُشْرَىٰ قَالُوا۟ سَلَٰمًا ﴾ [هود:٦٩].

ومن صفاتهم أنهم منزهون عما يعتري البشر من الجوع والمرض، والتعب والنوم، والنكاح.

ومن صفاتهم الموت فهم يموتون كما يموت البشر [3].

ومن صفاتهم السمع، والبصر والكلام والأيدي والأقدام والصعود والنزول، ومن صفاتهم العلم والحياء ومساكنهم في السماء ويهبطون إلى الأرض بأمر الله .. وغير ذلك من الصفات [4].

خامساً: الإيمان بما كلفوا به من أعمال وهي كثيرة وجليلة من أهمها

---

(١) كما روى الإمام أحمد في مسنده (٦/١٤١- ١٤٢) عن عائشة – رضي الله عنها – .

(٢) الحديث في كتاب البخاري كتاب الأنبياء، باب: ما ذكر عن بني إسرائيل، رقم ٣٢٧٧ (٣/١٢٧٦) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – ، ورواه مسلم في كتاب الزهد، رقم: ٢٩٦٤ (٤/٢٢٧٥).

(٣) انظر مجموع الفتاوى (٤/٢٥٩- ٢٦٠).

(٤) انظر في تفصيل ذلك: الإيمان بالملائكة (رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية للشيخ محمد بن سليمان الدريوش (من ص٥٥- ١٨).

إنزال القطر من السماء، وإنبات النبات والموكل به ميكائيل – عليه السلام – ومنهم يخلق الرزق، وله أعوان ومنهم الموكل بالنفخ في الصور [1] قال تعالى: ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الزمر:٦٨].

ومنهم حملة العرش قال تعالى : ﴿ وَيَحْمِلُ عَرْشَ رَبِّكَ فَوْقَهُمْ يَوْمَئِذٍ ثَمَٰنِيَةٌ ﴿١٧﴾ ﴾ [الحاقة:١٧].

وقال تعالى: ﴿ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزمر:٧٥] .

"ومنهم الكربيون الذين هم حول العرش وهم أشرف الملائكة مع حملة العرش. وهم الملائكة المقربون" [2] .

ومنهم الموكل بالنطفة في الرحم حتى يتم خلقها ويخرج من بطن أمه كما جاء ذلك مصرحاً في كثير من الأحاديث.

ومنهم الموكل بالجنة وإعدّاد النعيم لأصحابها في مقدمة هؤلاء رضوان – عليه السلام – خازن الجنة.

ومنهم الموكل بإيقاد النار وإعداد العذاب لأهلها الزبانية، وفي مقدمتهم مالك خازن النار، قال تعالى: ﴿ وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ﴾ [الزخرف:٧٧-٧٨].

---

(١) انظر البداية والنهاية (١/٤٠).

(٢) البداية والنهاية (١/٤٠).

ومنهم الموكل بتبشير المؤمنين بالجنة والكرامة وذلك عند موتهم.

ومنهم الموكل بعمارة البيت المعمور في السماء، ومنهم الموكلة بالسحاب وسوقه، ومنهم الموكلة بالجبال.

ومنهم الموكلة بكتابة أعمال العباد من خير وشر، ومنهم الموكلة بإنزال العذاب على الأمم المكذبة بأمر الله تعالى لهم.

يقول ابن قيم – رحمه الله –:

"وكل حركة في السماوات والأرض: من حركات الأفلاك، والنجوم،والشمس، والقمر، والرياح، والسحاب، والنبات، والحيوان، فهي ناشئة عن الملائكة الموكلين بالسماوات والأرض – كما قال تعالى: ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ [النازعات:٥] وقال:﴿ فَٱلْمُقَسِّمَٰتِ أَمْرًا ۝٤ ﴾ [الذاريات:٤] وهي الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل – عليهم السلام – وأما المكذبون للرسل، المنكرون للصانع، فيقولون: هي النجوم [1].

ومن الأعمال الجليلة العظيمة: إنزال الوحي على الأنبياء:

فهي التي تنزل بالوحي على الأنبياء والرسل، قال تعالى: ﴿ وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ ﴾ [مريم:٦٤] وقوله: ﴿ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥ ﴾ [الشعراء:١٩٣-١٩٥] وقوله: ﴿

---

(١) إغاثة اللهفان ٢/١٧٢- ١٧٣، وانظر فيما سبق: المنهاج للحليمي ١/٣٠٢ وما بعدها وشعب الإيمان للبيهقي ١/٤٠٥- ٤٠٦ والبداية والنهاية ١/٣٥ وما بعدها، والحبائك في أخبار الملائك ص١٣ وما بعدها، ومعارج القبول ٢/٦٥٦، وعالم الملائكة للأشقر، وما بعدها، والإيمان بالملائكة لأحمد عز الدين البيانوني ص٧ وما بعدها، والإيمان بالملائكة وأثره للشيخ صالح الفوزان.

﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ ۝٢﴾ [النحل:٢] .

وفي صحيح البخاري عن أم المؤمنين عن عائشة – رضي الله عنها – أن الحارث بن هشام – رضي الله عنه – سأل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله ﷺ **"أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس وهو أشده علي فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة – رضي الله عنها – ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البردفيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقاً"** (١) .

والصورتان المذكورتان في هذا الحديث هما الحالتان الغالبتان، كما ذكر ذلك ابن حجر – رحمه الله – (٢) وإلا فقد جاءت حالات أخرى لمجيء الملك بالوحي كإتيانه في صورة أعرابي، وفي صورة دحية الكلبي وفي صورته التي خلق عليها ستمائة جناح، على كرسي بين السماء والأرض وهي حالة نادرة كما قالت عائشة فيما روته عن النبي ﷺ **" وإنما هو جبريل لم أره على صورته التي خلق عليها غير هاتين المرتين .."** (٣) الحديث ، ،وجبريل عليه السلام هو المختص بالوحي

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الوحي باب كيف بدئ الوحي إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رقم ٢(١٢/٤)، ورواه في كتاب بدء الخلق باب: ذكر الملائكة رقم ٣٠٤٣ (ج٣/١١٧٦) عن هشام به. ورواه مسلم في الفضائل، باب: طيب عرق النبي صلى الله عليه وسلم في البرد وحين يأتيه الوحي رقم الحديث: ٢٣٣٣(١٨١٦-١٨١٧) عن هشام بنحوه.

(٢) انظر فتح الباري (١/٢٩).

(٣) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب معنى قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ﴾ رقم: ١٧٧ (١/١٥٩).

قال تعالى في وصفه: ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ۝١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ ۝٢٠ مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ ۝٢١ ﴾ [التكوير:١٩-٢١] ، فوصفه بأنه رسول، وأنه كريم عنده، وأنه ذو قوة ومكانة عند ربه سبحانه وتعالى، وأنه أمين على الوحي" [(١)] ويقول تعالى: ﴿ قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ ﴾ [النحل:١٠٢] . وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن كَانَ عَدُوّٗا لِّجِبۡرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلۡبِكَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَهُدٗى وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٩٧ ﴾ [البقرة:٩٧].

وقد جاء في بعض الأحاديث التصريح بنزول غيره من الملائكة بالوحي ومن ذلك ما رواه ابن عباس – رضي الله عنهما – قال: "بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضاً من فوقه، فنزل منه ملك، فرفع رأسه، فقال: هذا باب من السماء فتح اليوم لم يفتح قط إلا اليوم، فنزل منه ملك، فقال: هذا ملك نزل إلى الأرض، لم ينزل قط إلا اليوم، فسلم وقال: أبشر بنورين أوتيتهما لم يؤتهما نبي من قبلك، فاتحة الكتاب وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ بحرف منها إلا أعطيته" [(٢)] .

وعن حذيفة قال: ﷺ : العشاء، ثم خرج فتبعته، فإذا عارض قد عرض له، فقال لي: **"يا حذيفة هل رأيت العارض الذي عرض لي"؟ قلت: نعم قال: "ذاك ملك من الملائكة استأذن ربه يسلم علي، ويبشرني بالحسن والحسين أنهما سيدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة**

---

(١) إغاثة اللهفان (١٧٢/٢)، وانظر البداية والنهاية (٣٩/١).

(٢) رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة رقم ٨٠٦ (٥٥٤/١) والنسائي في كتاب الافتتاح، باب فضل الفاتحة رقم: ٩١٢ (١٣٨/٢) عن ابن الأحوص به.

سيدة نساء أهل الجنة" [1] والذي يظهر والله أعلم أن جبريل – عليه السلام – اختص بإنزال القرآن الكريم، وأما إنزال غير القرآن من الوحي فشاركه غيره كما جاء في الأحاديث [2] .

ومن الأعمال التي تقوم بها الملائكة: إهلاك الأمم المكذوبة بأمر الله:

من المهام المنوطة بالملائكة، إنزالهم العذاب الشديد، وإهلاك الأمم المكذبة للرسل بأمر الله تعالى وقد ورد في قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا۟ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا۟ لِيُؤْمِنُوا۟ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس:١٣]. وقوله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَٰهُمْ خَلَٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس:٧٣] . وقال تعالى: ﴿ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدْرَكَهُ ٱلْغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِىٓ ءَامَنَتْ بِهِۦ بَنُوٓا۟ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ﴾ [يونس:٩٠] روى ابن جرير عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: "لما قال فرعون لا إله إلا الله، جعل جبرائيل يحشو في فيه الطين والتراب" وفي رواية أخرى قال: "لما أغرق الله فرعون قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة (٧٨/٧)، ورواه أحمد في مسنده وفي أوله قصة (٣٩١/٥) والحاكم في مستدركه بلفظ "أتاني جبريل.." الحديث (٤٢٩/٣) وقال الذهبي في التلخيص: صحيح (انظر حاشية المستدرك ٤٢٩/٣) وقال الذهبي في التلخيص: صحيح (انظر حاشية المستدرك ٤٢٩/٣)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٧/١).

(٢) انظر السيرة النبوية للذهبي ص٦٥ ، وفتح الباري ٣٧/١.

آمنت به بنو إسرائيل، فقال جبرائيل: يا محمد لو رأيتني وأنا آخذ من حمأة البحر وأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة" [1] . وفي إهلاك قوم لوط يقول جل ذكره: ﴿ وَلَمَّا جَآءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٧٧﴾ ﴾ إلى قوله: ﴿ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مَّنضُودٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ ۖ وَمَا هِيَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ بِبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ ﴾ [هود:٧٧-٨٣].

ومن الأعمال التي تقوم بها الملائكة: كتابة أعمال العباد:

فالملائكة الكرام تكتب جميع أعمال وأقوال بني آدم، قال تعالى: ﴿ وَإِذَآ أَذَقْنَا ٱلنَّاسَ رَحْمَةً مِّنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِيٓ ءَايَاتِنَا ۚ قُلِ ٱللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا ۚ إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ **[يونس:٢١]** .

قال ابن جرير – رحمه الله – عن تفسير هذه الآية: "إن حفظتنا الذين نرسلهم إليكم أيها الناس يكتبون عليكم ما تمكرون في آياتنا" ا.هـ [2] .

وقوله تعالى: ﴿ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ [الزخرف:٨٠] .

وقوله تعالى: ﴿ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٧- ١٨].

---

(١) رواه الترمذي في كتاب التفسير في سورة يونس رقم: ٣١٠٦ (٨/٢٦٨- ٢٦٩) ورقم: ٣١٠٦ وقال الترمذي: "هذا حديث حسن غريب صحيح" ا.هـ ورواه الإمام أحمد في مسنده عن ابن عباس رقم ٣٠٦ (١٨/١٧٧) الفتح الرباني وقال صاحب الفتح الرباني عند شرحه لهذا الحديث: "وهذا الحديث بطريقيه رواته ثقات ليس فيه متهم كان فيهم من هو سيئ الحفظ فقد تابعه عليه غيره" ا.هـ (١٨/١٧٨) والحديث رواه ابن جرير في التفسير (١١/١٦٣) بعدة طرق، ورواه في التاريخ (١/٣٩٨).

(٢) جامع البيان (١١/٩٩).

قال البغوي – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية:

"إذ يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه (عن اليمين وعن الشمال)، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات" ا.هـ [1].

وقال تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِالدِّينِ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝ ﴾ [الانفطار:٩-١٢] .

قال ابن رجب الحنبلي – رحمه الله – "وقد أجمع السلف الصالح على أن الذي عن يمينه يكتب الحسنات، والذي عن شماله يكتب السيئات" [2] ا.هـ.

كتابة الملائكة لجميع الأقوال والأفعال:

اختلف العلماء هل تكتب الملائكة جميع الأقوال والأعمال، أم أنها لا تكتب إلا الحسنات والسيئات؟!

الأول: أنهما يكتبان جميع ما يصدر من الإنسان حتى أنينه في مرضه، وحتى قوله أكلت، وشربت .. روي عن مجاهد – رحمه الله – وروي أيضاً عن مالك – رحمه الله – ورجح هذا القول السفاريني.

الثاني: إنهما لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه، أو يعذب عليه ونُقل عن عكرمة.

---

(١) معالم التنزيل (٤/٢٢٢).

(٢) جامع العلوم الحكم (١/٣٣٦).

قال ابن رجب – رحمه الله – :

".. إن ما ليس بحسنة فهو سيئة، وإن كان لا يعاقب عليها فإن بعض السيئات قد لا يعاقب عليها، وقد تقع مكفرة باجتناب الكبائر، ولكن زمانها قد خسره صاحبها حيث ذهب باطلاً، فيحصل له بذلك حسرة في القيامة وأسف عليه، وهو نوع عقوبة" [1] ا.هـ وقد رويت القولان عن ابن عباس – رضي الله عنه – [2] .

وقال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ ﴾ [ق:١٨] "أي ما يتكلم بكلمة (إلا لديه رقيب عتيد) أي إلا ولها من يرقبها معد لذلك يكتبها لا يترك كلمة ولا حركة" ا.هـ [3] .

وقوله أيضاً بعد أن ذكر القولين السابقين: "وظاهر الآية الأول لعموم قوله تبارك وتعالى: ﴿ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴾ ا.هـ [4] .

فأما من قال إن أنين المريض يكتب عليه، فلأن ذلك يعبر عن الشكوى والتبرم "وتعقب ذلك النووي فقال: هذا ضعيف أو باطل فإن المكروه ما ثبت فيه نهي مقصود، وهذا لم يثبت فيه ذلك. ثم قال فلعلهم أرادوا بالكراهة خلاف الأولى فإنه لاشك إن اشتغاله بالذكر أولى" ا.هـ [1] والخلاف هذا لفظي، حيث إنهم متفقون على عدم العقاب على المباحات مثل نحو أكلت وشربت .. ونحو ذلك.

---

(١) جامع العلوم والحكم (١/٣٣٧).

(٢) انظر الحبائك ص٨١.

(٣) تفسير ابن كثير (٦/٤٠٠).

(٤) المرجع السابق ونفس الجزء والصفحة، وكتاب الإيمان لابن تيمية ص٤٦- ٤٧.

كتابة أعمال القلوب:

اختلف العلماء في كتابة الملائكة وإطلاعها على أعمال القلوب، والنية، والإخلاص، .. فمنهم من قال باطلاعهم على أعمال القلوب، واستدلوا بالحديث الصحيح عن ابن عباس – رضي الله عنهما – عن النبي ﷺ فيما يروى عن ربه عز وجل قال: "إن الله كتب الحسنات والسيئات فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو همَّ بها وعملها كتبها الله له عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله له عنده حسنة كاملة، فإن هو هم بها فعملها كتبها الله له سيئة واحدة" [٢] قال ابن حجر – رحمه الله – عن شرح هذا الحديث: وفيه دليل على أن الملك يطلع على ما في قلب الآدمي إما باطلاع الله إياه أو بأن خلق له علماً يدرك به ذلك. ا.هـ [٣] .

وقال شارح الطحاوية – رحمه الله – :

قد ثبت بالنصوص .. أن الملائكة تكتب القول والفعل، وكذلك النية لأنها فعل قلب، فدخلت في عموم ﴿ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [الانفطار:١٢] ا.هـ [٤] .

---

(١) نقلاً عن السفاريني في لوامع الأنوار (٤٥٢/١).

(٢) رواه البخاري في كتاب الرقاق باب من هَمَّ بحسنة أو بسيئة رقم ٦١٢٦ (ج/٢٣٨٠-٢٣٨١) ورواه مسلم في الإيمان، باب: إذا هما لعبد بحسنة كتبت ... رقم ١٣١ (١١٨/١).

(٣) فتح الباري (٣٣٢/١١).

(٤) شرح الطحاوية ص٣٩٠ط، المكتب الإسلامي.

وقيل: إن الملائكة لا اطلاع لها على أعمال القلوب، ولكن إذا هم العبد بحسنة فاحت منه ريح طيبة، وإذا همَّ بسيئة فاحت منه ريح خبيثة روي هذا عن سفيان بن عيينة وغيره [1] .

ومما يظهر من الأدلة إن الله تعالى يطلع ملائكته على هذه الأعمال بكيفية لا نعلمها، هو أعلم بها سبحانه، والأدلة على الأول صريحة وصحيحة ، والله أعلم.

وإن قيل هل تكتب الملائكة أعمال من عنده كلب أو صورة أو تدخل لقبض روحه وقد جاء في الحديث بعدم دخولها كما قال ﷺ : "لا تدخل الملائكة بيتاً فيه كلب ولا صورة" [2] ؟!

وأجيب على هذا بعدة أجوبة منها:

"إن الحديث محمول على أنهم لا يدخلون بيتاً فيه شيء من ذلك دخول إكرام لصاحبه ودعاء له وتبريك عليه، ولا يمنع ذلك من دخولهم لكتابة الأعمال وقبض الأرواح ومثل هذا غير مستنكر، فإن فساد صاحب المنزل يمنع من دخول صلحاء الناس منزلة مؤاخين له أو مترددين إليه، ولا يمنعهم من أن يدخلوه منكرين عليه ومغيرين أو مطالبين له بحق لزمه .." [3] .

---

(١) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢٤٨/١٩)، وانظر الحبائك ص٩٢ رقم ٣٩١، وانظر فتح الباري (٣٣٢/١١).

(٢) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب إذا وقع الذباب في شرب أحدكم فليغمسه رقم ٣١٤٤ (١٢٠٦/٣) وفي باب إذا قال أحدكم آمين والملائكة في السماء .. رقم ٣٠٥٣، ورقم ٣٠٥٤ (١١٧٩/٣)، رواه مسلم في اللباس والزينة باب تحريم تصوير صورة الحيوان .. رقم ١٢٠٦ (/١٦٦٥) عن سفيان به.

(٣) الحبائك ص٢١٥.

"قال الخطابي: المراد بالملائكة: الذين ينزلون بالرحمة والبركة لا الحفظة فإنهم لا يفارقون الجنب وغير الجنب" ا.هـ [1].

وقال ابن الأثير – رحمه الله – : "أراد الملائكة السياحين، غير الحفظة والحاضرين عند الموت" ا.هـ [2].

وقال الإمام النووي – رحمه الله – :

"وأما هؤلاء الملائكة الذين لا يدخلون بيتاً فيه كلب ولا صورة فهم ملائكة يطوفون بالرحمة، والتبريك، والاستغفار، وأما الحفظة فيدخلون في كل بيت ولا يفارقون بني آدم في كل حال لأنهم مأمورون بإحصاء أعمالهم وكتابتها" ا.هـ [3].

وأقوال الأئمة السابقة متقاربة، ويكادون يتفقون على أن المراد دخول التكريم والتشريف، وهذا الذي دلت عليه الأدلة.

ومن أعمال الملائكة: تبشير المؤمنين:

كما جاء في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [يونس:٦٣-٦٤].

من ثمرات الإيمان بالملائكة :

١ – العلم بعظمة الله تعالى، فخلق الملائكة يدل على عظمة الخالق وقدرته.

---

(١) الحبائك ص٢١٤، وانظر فتح الباري (١٠/٤٠٥).

(٢) معالم السنن (١/٦٥).

(٣) شرح مسلم (١٤/٨٤).

٢- الشكر لله على عنايته ببنب آدم وتسخير الملائكة لهم بالحفظ والدعاء وما ينتج عن ذلك من الرحمة والبركة.

٣- محبة الملائكة على ما قاموا به من الأعمال، ومحبتهم أصل من أصول الإيمان[١].

(١) انظر: شرح أصول الإيمان للعلامة محمد بن صالح بن عثيمين(ص٢٩- ٣٠)

الأصل الثالث من أصول الإيمان
الإيمان بالكتب

الإيمان بالكتب هو الركن الثالث من أركان الإيمان كما جاء في القرآن الكريم، والسنة المتواترة.

قال تعالى: ﴿ ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ ﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقال تعالى: ﴿ وَمَن يَكْفُرْ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ ﴾ [النساء:١٣٦].

ومعنى الكتاب في اللغة:الْسمٌ لما كتب مجموعاً، والكتاب مصدر"[1]، يقالكتب يكتب كتاباً وكتابة والجمع كُتبٌ وسمي القرآن كتاباً لما جمٌع فيه من القصص والأمثال والعقائد والأمر والنهي والتشريع، أو لأنه اشتمل على جميع الكتب السابقة وكل شيء جمع بعضه إلى بعض سٌمي كتاباً وقد جاء في القرآن الكريم بمعنى اللوح المحفوظ كما في قوله تعالى: ﴿ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾ ﴾ [الأنعام:٥٩] .

ويأتي بمعنى التوراة والإنجيل وبمعنى القرآن المجيد قال تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ ﴾ [فاطر:٣٢]، وبمعنى

---

(١) لسان العرب (١/٦٩٨).

الرحمة والمغفرة قال تعالى: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤] وغير ذلك (١).

والمراد بالكتب التي يجب الإيمان بها الكتب المنزلة على أنبياء الله ورسله عليهم صلوات الله وسلامه عليهم، التي حوت الدعوة إلى توحيد الله عز وجل، وبيان شرائعه وأحكامه.

والإيمان بالكتب يتضمن ما يلي:

أولاً: الاعتقاد الجازم بأن لله جل وعلا كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله.

ثانياً: إن الله تعالى تكلم بها على الحقيقة وليس مجازاً، وأن منها المسموع بدون حجاب، ومنها ما سمعه الرسول البشري من الرسول الملائكي مبلغاً عن ربه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ [الشورى:٥١].

ومنها ما خطه جل وعلا بيده قال تعالى: ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُۥ فِى ٱلْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا۟ بِأَحْسَنِهَا ﴾ [الأعراف:١٤٥].

ثالثاً: إن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٧﴾ ﴾ [يونس:٣٧].

---

(١) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/٣٢٩- ٣٣٢)، والصحاح (١/٢٠٨) والنهاية في غريب الحديث (٤/١٤٧) ولسان الميزان (١/٦٩٨).

رابعاً: إن نسخ هذه الكتب بعضها لبعض حق كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة**وكما كان القرآن ناسخاً** لجميع هذه الشرائع.

وأن النسخ جائز في القرآن الكريم فقد ينسخ بعضه بعضاً كما قال تعالى:﴿ ۞ مَا نَنسَخۡ مِنۡ ءَايَةٍ أَوۡ نُنسِهَا نَأۡتِ بِخَيۡرٖ مِّنۡهَآ أَوۡ مِثۡلِهَآۗ ﴾ [البقرة:١٠٦].

خامساً: إن جميع هذه الكتب قد اتفقت على الدعوة على توحيد الله عز وجل وإن اختلفت الشرائع.

سادساً: الإيمان بأن لله كتباً كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، فنؤمن بها إجمالاً، ونؤمن بما ورد ذكره تفصيلاً كالتوراة، والإنجيل والزبور، وصحف إبراهيم، والقرآن. أما الإيمان بالقرآن الكريم فيشمل جميع ما سبق ويزيد عليها، بأنه يجب مع الإيمان به، امتثال أوامره واجتناب نواهيه، وتحكيمه في جميع شؤون البشر والعمل بمحكمه، والوقوف عند متشابهه، وأنه ناسخ لجميع الكتب السابقة ومهيمن عليها قال تعالى: ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة:٤٨] ، وأنه محفوظ بحفظ الله تعالى له، وتلك مزية له خاصة حيث تكفل الله تعالى بحفظه كما قال عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾ [الحجر:٩].

فجميع ما في المصحف هو كلام الله تعالى لم يفت منه شيء [1] .

---

(١) انظر فيما سبق: المنهاج في شعب الإيمان (١/٣١٧- ٣٢٣) وانظر شعب الإيمان للبيهقي ١/٤٤٧ وما بعدها، وانظر معارج القبول (٦٧٢- ٦٧٥) وانظر شرح الواسطية ص١٧ ، وشرح أصول الإيمان للشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين.

هذا مجمل معنى الإيمان بالكتب، وإليك التعريف بالقرآن الكريم الذي أنزل على نبينا محمد عليه الصلاة والسلام والناسخ لجميع الكتب السابقة.

القرآن الكريم

تعريفه:

في اللغة: هو مصدر قرأ يقرأ قراءة وقرآناً ومعناه الجمع والضم، وسمي القرآن بذلك، لأنها جمعت سوره، وضمُ بعضها إلى بعض[(١)]".

وقد يطلق لفظ القرآن على القراءة والتلاوة "يقال قرأ قراءةً وقرآناً"[(٢)].

وأما في الاصطلاح:

فالقرآن اسم لكلام الله تعالى، المنزل على نبيه محمد ﷺ الذي عجز الجن والإنس أن يأتوا بمثله، وهو كلام الله حقيقة لا مجازاً، ليس بمخلوق، منه بدأ وإليه يعود، المسموع بالآذان، المتلو بالألسنة، المحفوظ في الصدور، المكتوب في المصاحف، وهذا ما دل عليه الكتاب والسنة، واتفق عليه السلف[(٣)].

وقد وصف الله تعالى القرآن بأنه حكيم في قوله تعالى: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ۝١﴾ [يونس:١] أي "المحكم المبين"[(٤)] وبأنه

---

(١) انظر الصحاح (١/٦٥) وانظر لسان العرب (١/١٢٨- ١٢٩) وانظر الجامع لأحكام القرآن ٢/٢٩٨.

(٢) المرجع السابق (١/١٢٩)، وانظر الصحاح (١/٦٥).

(٣) انظر الجامع لأحكام القرآن (٢/٢٩٨)، ومجموع الفتاوى (١٢/٢٣٥- ٢٣٦) والوجيز في علم التفسير للسيوطي ص٣٩- ٤٠، وشرح الطحاوية ص١٣٥- ١٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير (٣/٤٨٢).

موعظة، وشفاء، وهدى ورحمة كما في قوله تعالى: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [يونس:٥٧] وزعمت الجهمية، والمعتزلة ومن وافقهم أن القرآن مخلوق.

وأما الأشاعرة ومن وافقهم فقالوا: إن القرآن "هو القول القائم بالنفس الذي تدل عليه العبارات وما يصطلح عليه من الإشارات" (١) وهناك فرقة الواقفة، وهم الذين يقولون لا نقول مخلوقاً ولا غير مخلوق (٢).

وجميع هذه الأقوال خالف أصحابها إجماع الأئمة، كما نص ً على ذلك عدد منهم كما روى البخاري – رحمه الله – في خلق أفعال العباد – عن سفيان بن عيينة قال: "أدركت مشايخنا منذ سبعين سنة منهم عمرو بن دينار يقولون: القرآن كلام الله، وليس بمخلوق" (٣) وقال

---

(١) الإرشاد للجويني ص١٠٨ وانظر ص١٠٩ وما بعدها. وانظر الإنصاف للباقلاني ص٥٨ وشرح الفقه الأكبر بشرح ملا علي القاري، ص١٥.

(٢) انظر الرد على الجهمية للدارمي ص١٠٢ والسنة لعبدالله بن الإمام أحمد ص٤٣ والشريعة للآجري ص٨٧، وشرح أصول الاعتقاد (٣٢٤/٢) والفصل في الملل والنحل (١١/٣) وتحقيق كتاب التوحيد لابن خزيمة (٣٢٩/١).

(٣) رواه البخاري في كتاب خلق أفعال العباد ص٧، والبيهقي في الأسماء والصفات (٣٨١/١) عن البخاري به وقال: "ورواه غير الحكم عن سفيان بن عيينة نحو رواية سلمة بن شبيب عن الحكم بن محمد" ا.هـ ورواه الدارمي في الرد على المريسي (ص١١٦- ١١٧) من طريق إسحاق بن إبراهيم الحنظلي به وزاد" الله الخالق وما سواه مخلوق والقرآن كلام الله منه خرج وإليه يعود" رواه الذهبي في العلو من طريق إسحاق بن راهويه بلفظ الدارمي (مختصر العلو ص١٦٤) وقال عقبة: وقد تواتر هذا عن ابن عيينة" ا.هـ ومشايخ سفيان بن عيينة هم عدد من الصحابة من أمثال ابن عباس

القاسم الأصبهاني – رحمه الله : "أجمع المسلمون أن القرآن كلام الله،و إذا صح أنه كلام الله صح أنه صفة تعالى، وأنه عز وجل موصوف به، وهذه الصفة لازمة لذاته" ا.هـ [1] .

وروى عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه أنه سمع عبدالرحمن بن مهدي يقول "من زعم أن الله يكلم موسى يستتاب فإن تاب وإلا ضربت عنقه" [2] .

والسلف – رحمهم الله تعالى – قالوا: "من بدأ" أي بمعنى أن الله تعالى هو المتكلم به فلم يخلقه في غيره، فيكون بدأ من هذا المخلوق وفي هذا رد على من قال بخلق القرآن، إذ لو كان بدأ من ذلك المحل لكان صفة له، وليس صفة للرب تعالى [3] وأما أصوات العباد، وحركاتهم فهي مخلوقة، قال البخاري – رحمه الله: "حركاتهم [أي العباد] وأصواتهم، واكتسابهم وكتابتهم مخلوقة، فأما القرآن المتلو المبين المثبت في المصحف المسطور المكتوب، الموعى في القلوب فهو كلام الله ليس بخلق .." ا.هـ [4].

وابن عمر وجابر بن عبدالله وعبدالله بن الزبير – رضي الله عنهم – وأكابر التابعين كعمرو بن دينار.

انظر شعب الإيمان للبيهقي (١/٤٥٨- ٤٥٩).

(١) الحجة في بيان الحجة (٢/١٩٣) وانظر الفصل في الملل والنحل (٣/١١) والفتاوى الكبرى (٥/١٤٤) ومختصر الصواعق (٢/٢٨٥- ٢٨٦).

(٢) رواه عبدالله بن أحمد في السنة ص١٦ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١/٣٨٦) عن عبدالله بن أحمد به وإسناده ثقات.

(٣) انظر مجموع الفتاوى (١٢/٤٠).

(٤) خلق أفعال العباد، ص٣٤.

ثمرات الإيمان بالكتب:

١ - إقامة الحجة على العباد بإنزال الكتب وإرسال الرسل.

٢ - رحمة الله بالعباد .

٣- شكر الله على هذه النعمة[١].

٤ -العناية بكتاب الله تعالى حفظاً وتدبراً وعملاً.

(١) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ/ محمد بن صالح بن عثيمين(ص٣٣).

الأصل الرابع من أصول الإيمان

الإيمان بالرسل

الإيمان بالرسل هو الركن الرابع من أركان الإيمان الستة قال تعالى: ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٦ ﴾ [البقرة:١٣٦]. وقوله: ﴿ قُلۡ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ عَلَيۡنَا وَمَآ أُنزِلَ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ٨٤ ﴾ [آل عمران:٨٤].

وقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٣٦ ﴾ [النساء:١٣٦] .

والنبوة في اللغة مشتقة من النبأ: وهو الخبر والجمع أنباء [1] تقول نبأ ونَبَّأَ أي أخبر، ومنه أُخذَ النبي لأنه أنبأ عن الله تعالى وهو فعيل، بمعنى فاعل" [2] وقد يأتي فعيل بمعنى مفعول لقوله تعالى: ﴿ قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡخَبِيرُ ٣ ﴾ [التحريم:٣] [3] "وقيل: النبي مشتق من

---

(١) لسان العرب (١/١٦٢).

(٢) الصحاح (١/٧٤).

(٣) انظر المفردات للراغب ص٤٨٢.

النَّبَاوة، وهي الشيء المرتفع" (١).

وأما الرسول فهو المرسل، مأخوذ من الإرسال، وأصله رَسَّل (٢) وهو "الانبعاث على التؤدة ويقال ناقة رسلة سهلة السير، وإبل مراسيل منبعثة انبعاثاً سهلاً، ومنه الرسول المنبعث .." (٣) "والجمع على أَرسل ورُسُل ورُسْل ورُسلاء" (٤) وقد يطلق الرسول على الجمع (٥)، كما في قوله تعالى: ﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ [الشعراء:١٦].

أما التعريف الاصطلاحي للفظي النبوة والرسالة، فاختلف العلماء في اتفاقهما وترادفهما، أو تبيانهما على أقوال ذكرها الماوردي(٦). –رحمه الله– في أعلام النبوة فقال: "اختلف أهل العلم في الأنبياء والرسل على قولين: **أحدهما**: أن الأنبياء والرسل واحد، فالنبي رسول والرسول نبي، والرسول مأخوذ من تحمل الرسالة، والنبي مأخوذ من النَبَأ، وهو الخبر إن همز، ومأخوذ من النُّبُوة إن لم يهمز، وهو الموضع المرتفع وهذا أشبه لأن محمداً ﷺ قد كان يخاطب بهما.

---

(١) لسان العرب (١/١٦٣).

(٢) انظر القاموس المحيط، ص١٣٠٠.

(٣) المفردات، ص١٩٥.

(٤) لسان العرب مادة (رَسَل) (١١/٢٨٣)، وانظر المفردات ص١٩٥.

(٥) انظر المفردات ص١٩٥.

(٦) "علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن الماوردي: أقضى قضاة عصره، من العلماء الباحثين، أصحاب التصانيف الكثيرة .. ولد في البصرة، وانتقل إلى بغداد .. وكان يميل إلى مذهب الاعتزال .. وفاته ببغداد سنة ٤٥٠" الأعلام (٤/٣٢٧) وانظر ميزان الاعتدال (٣/١٥٥).

القول الثاني: أنهما يختلفان، لأن اختلاف الأسماء يدل على اختلاف المسميات والرسول أعلى منزلة من النبي ﷺ ولذلك سميت الملائكة رسلاً ولم يسموا أنبياء" [1] ا.هـ.

واختلف من قال بالتفريق بينهما في ذكر الفرق على أقوال عدة منها: "إن الرسول هو الذي تنزل عليه الملائكة بالوحي، والنبي هو الذي يوحى إليه في نومه" [2] وقال الحليمي – رحمه الله – في تعريف النبوة "خبر خاص هو الذي يلزم الله عز وجل به أحداً من عباده فيميزه بإلقائه إليه عن غيره، ويقفه به على شريعته .. فإن انصاف إلى هذا التوفيق أمر تبليغه إلى الناس ودعائهم إليه، كان نبياً رسولاً .. فكل رسول نبي، وليس كل نبي رسولا .." [3] .

ومنها ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله تعالى – وهو أجمعها، حيث قال: ".. فالنبي هو الذي ينبئه الله، وهو ينبئ ما أنبأ الله به، فإن أرسل مع ذلك إلى من خالف أمر الله ليبلغه رسالة من الله إليه، فهو رسول، وأما إذا كان إنما يعمل بالشريعة قبله، ولم يرسل هو إلى أحد يبلغه عن الله رسالة، فهو نبي، وليس برسول" [4] وجميع هذه الأقوال متقاربة، وقول من قال بالتفريق هو الصواب إن شاء الله لقوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٖ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ ﴾ [الحج:٥٢] فعطف النبي على الرسول والعطف

(١) أعلام النبوة ص٣٨، وانظر كتاب الفقه الأكبر مع شرحه لملا القاري، ص٥٣.
(٢) المرجع السابق، ص٣٨.
(٣) المنهاج في شعب الإيمان (١/٢٣٩)، وانظر الإعلام للقرطبي (٣/٢٣٨- ٢٣٩).
(٤) النبوات ص٢٨١، وانظر كتاب الإيمان لشيخ الإسلام، ص٦- ٧.

يقتضي المغايرة ولقوله ﷺ للبراء بن عازب [1] عندما قال: "اللهم آمنت بكتابك الذي أنزلت .. ورسولك، قال: "لا، ونبيك الذي أرسلت" [2] حملاً للفظ على التأسيس لا التأكيد، وفي الحديث الصحيح النص على أن نوح – عليه السلام – أول رسول إلى أهل الأرض [3] مع العلم أنه كان قبله أنبياء كآدم، وشيث، وإدريس – عليهم السلام – [4].

الفرق بين النبي والرسول:

١- إن الرسول يأتي بشريعة مستقلة عمن سبقه، بخلاف النبي الذي يكون تابعاً لشريعة رسول قبله.

٢- إن بينهما عموماً من وجه وخصوصاً من وجه آخر، فكل رسول نبي وليس كل نبي رسول.

٣- إن الرسالة أكمل من النبوة، إذ هي – أي الرسالة – نبوة وزيادة.

---

(١) هو البراء بن الحارث بن عدي بن الأوس الأنصاري يكنى أبا عمارة .. له ولأبيه صحبة وهو الذي افتتح الري سنة ٢٤هـ وشهد مع علي الجمل وصفين وقتال الخوارج ونزل الكوفة ومات سنة ٧٢هـ وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم جملة من الأحاديث، (انظر الإصابة ١/١٤٧) و(الإعلام ٢/٤٦).

(٢) الحديث في البخاري كتاب الوضوء باب فضل من بات على الوضوء رقم ٢٤٤ ج(١/٩٧)، ورواه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٢٧١٠ (ج٤/٢٠٨١- ٢٠٨٢) عن البراء أيضاً.

(٣) كما رواه البخاري في كتاب الأنبياء باب قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلَى قَوْمِهِ﴾الآية الحديث رقم: ٣١٦٢ (٣/١٢١٥- ١٢١٦) ومسلم في كتاب الإيمان، باب أدنى أهل الجنة منزلة فيها، رقم: ١٩٤ (١/١٨٤- ١٨٦).

(٤) انظر النبوات، ص٢٨١.

كما أنهما يجتمعان في أن كلاً من الرسول والنبي يوحى إليه، كما إن كليهما، اصطفاء وتشريف من الله عز وجل، ولا تنال بالكسب، والاجتهاد، كما إن كليهما قد ختم بسيد المرسلين محمد ﷺ وكلاهما مأموران بتبليغ الوحي.

ومعنى الإيمان بالرسل: الاعتقاد الجازم والتصديق القلبي بأن الله عز وجل أرسل رسلاً دعوا إلى توحيد الله عز وجل ونبذ الشرك، وأنهم بلغوا ما أمرهم الله تعالى بتبليغه، من غير زيادة ولا نقصان، وأنهم معصومون من الخطأ فيما يبلغونه، وأن الله عز وجل أيدهم بآيات باهرات تدل على صدقهم.

والإيمان بالرسل يتضمن ما يلي:

الإيمان بهم إجمالاً فيما لم يذكر وتفصيلاً فيمن ذكر في القرآن وهم خمسة وعشرون نبياً ذكر منهم ثمانية عشر نبياً في قوله تعالى: ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَـٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ دَرَجَـٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَـٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَـٰرُونَ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَـٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ [الأنعام:٨٣-٨٦] .

وأما السبعة الباقون فهم آدم – عليه السلام – وذكره الله في مواضع كثيرة من كتابه العزيز ومنها قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾ ﴾ [آل عمران:٣٣] وإدريس وذكره الله في قوله تعالى: ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ إِدْرِيسَ إِنَّهُۥ

﴿كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ۝٥٦﴾ [مريم:٥٦]، وهود وصالح وشعيب وقد ذكر الله أخبارهم في كثير من سور القرآن العظيم وأيضاً ذا الكفل وقد ذكره الله تعالى في قوله:﴿وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا ٱلْكِفْلِ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ۝٨٥﴾ [الأنبياء:٨٥]. ونبينا محمد ﷺ (١).

كما إن الإيمان بالرسل يشمل الاعتراف بذلك باللسان، واتباعهم فيما يدعون إليه والإيمان بأن شريعة محمد ﷺ ناسخة لجميع الشرائع وأنه ﷺ خاتم الرسل والأنبياء، ورسالته عامة لجميع الإنس والجن.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ۝٢٨٥﴾ [البقرة:٢٨٥].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ ٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن يَتَّخِذُوا۟ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ۝١٥٠ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ حَقًّا ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ۝١٥١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ وَلَمْ يُفَرِّقُوا۟ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۝١٥٢﴾ [النساء:١٥٠-١٥٢].

وجاء في حديث أبي ذر أن عدد الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً، والرسل منهم ثلاثمائة وثلاثة عشر(٢) والحاجة إليه

---

(١) انظر عقيدة المؤمن ص (٢٨٠- ٢٨١).

(٢) الحديث رواه أحمد في مسنده (١٧٨/٥، ١٧٩، ٢٦٥)، وقال ابن حجر –رحمه الله– : صححه ابن حبان ا.هـ فتح الباري (٤١٦/٦)، وقال القرطبي –رحمه الله– بعد أن ذكر هذا الحديث: "هذا أصح ما روي في ذلك، خرجه الآجري وأبو حاتم

ماسة، وحاجة البشرية إليهم أشد من حاجتها إلى الطعام والشراب، بل أشد من حاجتها إلى الهواء الذي تتنفسه، وذلك لأنهم رسل كرام جاؤوا بما فيه صلاح العباد، من أطاعهم نجا، ومن خالفهم خسر، سبيلهم هي سبيل الرحمن، وحزبهم هو حزبه.

دلائل النبوة:

وقد أيدهم الله تعالى بآيات بينات هي دلائل صدقهم إذ محال أن يؤيد الله من يدعي الكذب عليه.

ومن دلائل النبوة ما يلي:

أولاً: تأييد الله لرسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم.

ثانياً: صفات الرسل وأخلاقهم وبيان الصدق فيما يدعون إليه.

ثالثاً: اتفاق دعوة الرسل.

رابعاً: نصر الله عز وجل لهم وإهلاك عدوهم.

خامساً: بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق [1].

وأستعين بالله تعالى في بيانها وتفصيلها:

أولاً: تأييد الله لرسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم:

قال تعالى:﴿ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُواْ وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿١٣﴾ ﴾ [يونس:١٣].

وقوله: ﴿ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ بِهِۦ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ

البستي في المسند الصحيح له" ا.هـ الجامع لأحكام القرآن (١٩/٦) والحديث ضعفه آخرون كالعراقي وغيره، انظر لوامع الأنوار (٢٦٤/٢).

(١) انظر الرسل والرسالات للأشقر (ص١١٩- ١٢٠).

عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِنۢ بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ بِـَٔايَٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [يونس:٧٤-٧٥].

وتسمى دلائل الأنبياء آية، وبينة، وبرهاناً، ومعجزة، والآية في اللغة "العلامة الظاهرة" (١).

وأما البينة فهي بمعنى الإيضاح "بان بياناً: اتضح فهو بين .. وبَيَّنتُه وتبينته وأبنته واستبينته: أوضحته وعرفته .." (٢).

وأما البرهان فهو: "الحجة الفاصلة البينة، يقال: برهن، يبرهن برهنة إذا جاء بحجة قاطعة للدد (٣) الخصم، فهو مبرهن" (٤) وأما لفظ المعجزة فلم يرد في الكتاب ولا السنة، وهو مأخوذ من العجز "أعجزه الشيء فاته وفلانا:وجده عاجزاً، وصيره عاجزاً، والتعجيز: التثبيط والنسبة إلى العجز" (٥) قال شيخ الإسلام بن تيمية – رحمه الله – "ويسميها من يسميها من النظار معجزات، وتسمى دلائل النبوة، وأعلام النبوة ونحو ذلك، وهذه الألفاظ إذا سميت بها آيات الأنبياء، كانت أدل على المقصود من لفظ المعجزات ولهذا لم يكن لفظ (المعجزات) موجوداً في الكتاب والسنة، وإنما فيه لفظ (الآية)، و(البينة)، و(البرهان) ا.هـ (٦).

---

(١) بصائر ذوي التمييز (٢/٦٣).
(٢) القاموس المحيط، ص١٥٢٦.
(٣) الألد: الخصم الجدل الشحيح الذي لا يزيغ إلى الحق، لسان العرب (٣/٣٩٠-٣٩١).
(٤) لسان العرب (١٣/٥١) مادة (رهن).
(٥) القاموس المحيط، ص٦٦٣.
(٦) الجواب الصحيح (٤/٦٧).

وقال القرطبي – رحمه الله – إن في تسميتها بالمعجزات تجوز، ثم قال: "إن المعجز على التحقيق إنما هو خالق العجز، وهذه الأسباب التي يقع العجز عندها تسمى معجزة، بالتوسع، وذلك من تسمية الشيء باسم غيره إذا جاوزه، أو كان معه بسبب" ا.هـ[1].

آيات الأنبياء نوعان:

الأول: ما كان من باب العلم كالإطلاع على بعض أمور الغيب: مثل ما أخبر به الرسول – صلى الله عليه وسلم – من أخبار، وعلوم تتعلق بأحداث مستقبلية حصلت في حياته وبعد مماته، ومثل ما أنبأ به من أنباء الأمم الهالكة، من ذلك أيضاً إخبار عيسى – عليه السلام – لقومه بما يأكلون، وبما يدخرون في بيوتهم .. إلى غير ذلك.

ثانياً: ما كان من باب القدرة:

مثل انشقاق البحر لموسى حينما ضربه بعصاه، وكتظليل الغمام، ومثل إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى لعيسى – عليه السلام – ومثل انشقاق القمر لنبينا محمد ﷺ وتكثر الطعام، ونبع الماء من بين أصابعه الشريفة .. الخ.

ومن الآيات ما مضى، ووصل إلينا خبره، كآيات الأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه – ومنها ما هو باق إلى قيام الساعة، كالقرآن الكريم، الذي هو معجزة خالدة، وآية باقية إلى قيام الساعة.

وكالعلم والإيمان الذي في أتباع محمد ﷺ، وأيضاً ما يخرق من العادات للأولياء والصالحين من أتباعه – عليه الصلاة والسلام –

---

(١) الإعلام (٢/٢٣٩).

وأيضاً علو هذا الدين وظهوره مهما حاول الأعداء إطفاء نوره، وإهلاك كل من ناوءه ورام الوقوف ضده [1].

ثانياً: صفات الرسل وأخلاقهم وبيان الصدق فيما يدعون إليه:

إن المتأمل في حياة الرسل والأنبياء ودعواتهم، ليرى ما كانوا عليه من علو الهمة، والأمانة، والصدق، والترفع عن سفاسف الأمور، كما يرى ما جبلوا عليه من الحلم والصفح، والصبر على الشدائد وحفظ العهد وهم بشر يأكلون، لكن الله اصطفاهم وشرفهم بالرسالة، قال تعالى:﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ﴿٢﴾ ﴾ [يونس:٢]. وفي بيان الصدق فيما يبلغون، يقول تعالى:﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ٱئْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآيِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴾ [يونس:١٥]. وقوله تعالى: ﴿ ۞ وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾ ﴾ [يونس:٥٣].

والرسل – عليهم صلوات الله وسلامه – من أزهد الناس في متاع الدنيا، وعرضها الزائل، فهم لا يريدون على دعوتهم جزاءً ولا شكوراً، قال تعالى مبلغاً عن نوح – عليه السلام – : ﴿ وَيَٰقَوْمِ لَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ ﴾ [هود:٢٩] . ولا أدل على

(١) انظر الجواب الصحيح (٤/٧٠- ٧١).

ذلك من تلك العروض السخية التي كانت قريش تعرضها على رسول الله ﷺ [1] رغبة منهم في استجابته لمطالبهم، وترك ما يدعو إليه.

والأنبياء – عليهم صلوات الله وسلامه –من أشد الناس بلاءً عن مصعب بن سعد عن أبيه قال: قلت يا رسول الله، أي الناس أشد بلاءً، قال: "الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، فيبتلى الرجل على حسب دينه فإن كان دينه صلباً اشتد بلاؤه، وإن كان في دينه رقة ابتلي على حسب دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض ما عليه خطيئة" [2] فلو لم يكن الله اصطفاهم وكلفهم بهذا، أكانوا يتشجمون[3] هذه الصعاب؟!! على الناس؟! ليكون ذلك سبباً إلى منافرتهم وقتالهم!!.

وخصائص النبوة أربعة:

الأول الكمال الخَلقي والخُلقي: ويعني أن الرسول يكون من أكمل قومه خُلقاً وخَلقاً، ونسباً وعقلاً، فلم يأت نبي به عاهة أو بذاءة، أو دناءة في نسبه، وذلك لأنه رسول رب العالمين والرسول على قدر المرسل، قال تعالى: ﴿ **ٱللَّهُ أَعۡلَمُ حَيۡثُ يَجۡعَلُ رِسَالَتَهُۥۗ** ﴾ [الأنعام:١٢٤].

---

(١) انظر دلائل النبوة للبيهقي (٢/٢٠٢- ٢٠٤).

(٢) رواه الترمذي في كتاب الزهد، باب ما جاء في الصبر على البلاء رقم: ٢٤٠٠ (٧/١٢٤)، وقال: (هذا حديث حسن صحيح) ا.هـ ورواه ابن ماجة في كتاب الزهد، باب الصبر على البلاء رقم: ٤٠٢٣ (٢/١٣٣٤) عن مصعب بن سعد، ورواه الإمام أحمد في مسنده (١/١٧٢) عن مصعب بنحوه، ورواه الدارمي باب: أشد الناس بلاء (٢/٤١٢) عن عاصم بنحوه، وانظر السلسلة الصحيحة حديث رقم: ١٤٣ (١/٥٣- ٥٤).

(٣) "جَشَمَ الأمر، بالكسر، يَجشَمُه وجشامةً وتجشَّمه: تكلَّفَه على مشقة" لسان العرب (١٢/١٠٠).

الثاني: الفضيلة الإكرامية ، ويقصد بها ما يكرمه الله عز وجل من المعجزات والكرامات التي تقوي قلبه وتشحذ عزمه للقيام بهذه المهمة كما أيد الله موسى – عليه السلام – بأن أرسل معه هارون وزيراً، وحل عقدة من لسانه.

الثالث: إنزال الكتب عليهم، والكتب التي يأتي بها الرسل مشتملة على الهداية والنور.

الرابع: **العصمة**، المراد بها أنهم لا يقرون على الخطأ [1] وهم معصومون فيما يبلغون عن الله تعالى إجماعاً [2] أما في غير ما يتعلق بالتبليغ ففيه خلاف، قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : "وأما العصمة في غير ما يتعلق بتبليغ الرسالة فللناس فيه نزاع، هل هو ثابت بالعقل أو بالسمع؟ ومتنازعون في العصمة من الكبائر والصغائر أو من بعضها أم هل العصمة إنما هي في الإقرار عليها لا في فعلها؟ أم لا يجب القول بالعصمة إلا في التبليغ فقط؟ .." [3] .

والذي عليه سلف الأمة وتشهد له الأدلة عصمتهم من الكبائر دون الصغائر، قال شيخ الإسلام – رحمه الله – "القول بأن الأنبياء معصومون من الكبائر دون الصغائر هو قول أكثر علماء الإسلام، وجميع الطوائف، حتى إنه قول أكثر أهل الكلام .. وهو أيضاً قول

---

(١) انظر مقدمة دلائل النبوة للأصبهاني، ص٣٤- ٣٦.

(٢) انظر الشفا (٧٤٦/٢)، ومجموع الفتاوى (٢٩١/١٠)، ومنهاج السنة(٤٧٠/١- ٤٧١) ولوامع الأنوار (٣٠٤/٢).

(٣) مجموع الفتاوى (٢٩٢/١٠- ٢٩٣)، وانظر الشفا ٧٣٥/٢ وما بعدها، وانظر العقيدة الإسلامية وأسسها، ص٣٨٥- ٣٨٦.

أكثر أهل التفسير والحديث والفقهاء، بل لم ينقل عن السلف والأئمة والصحابة، والتابعين وتابعيهم إلا ما يوافق هذا القول" [1] ا.هـ.

ومن هنا فمن ادعى النبوة فسرعان ما يظهر عواره، ويتضح كذبه، حتى ولو جرت على يديه من الخوارق الشيطانية ما جرى، لأن سنة الله جارية في كشفهم، وهزيمتهم.

ثالثاً: اتفاق دعوة الرسل:

إن من دلائل النبوة اتفاق دعوة الرسل جميعاً إلى التوحيد وإخلاص العبادة لله عز وجل، مع تفاوت الأزمنة وتباعد الأمكنة،

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾ [النحل:٣٦].

وقوله تعالى: ﴿ رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ﴾ [النساء:١٦٥].

وقوله: ﴿ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾ [فصلت:١٤] .

وهذا يدل على النبوة من عدة أوجه:

منها: أن جميع الرسل دعوا إلى التوحيد، وإخلاص العبادة لله وحده، دون سواه.

ومنها: أن هؤلاء الرسل تفاوتت أزمانهم، وتباعدت أمكنتهم، ومع هذا فالدعوة واحدة.

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٣١٩) وانظر للاستزادة مجموع الفتاوى (١٠/٢٩٣- ٣١٣).

ومنها: أن الرسول المتأخر يخبر بخبر المتقدم، ويبشر بمن سيلحقه، وهذا دليل العلم والإحاطة بمن سبق، وبمن يلحق، وهذا لا يكون إلا بما أطلعهم الله تعالى.

رابعاً: نصر الله لرسله وإهلاك عدوهم:

قال تعالى في شأن نصرة رسله: ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [يونس:٧٣].

وقوله: ﴿ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ ۚ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ ﴾ [يونس:١٠٢-١٠٣].

قال ابن كثير – رحمه الله – في تفسير قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ ۚ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾، حقاً أوجبها الله على نفسه الكريمة كقوله: ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام:٥٤] ا.هـ [(١)].

فنصرة الله لرسله ومن أطاعه من المؤمنين، حقاً أوجبه الله على نفسه، وهو من دلائل نبوة الأنبياء "فهذا يدل مع صدق الأنبياء على الرغبة في اتباعهم والرهبة من مخالفتهم، ففيه العلم بصدقهم، والموعظة للخلق" [(٢)] ولهذا يقول تعالى في سورة الشعراء بعد كل قصة من قصص الأنبياء: ﴿ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً ۖ وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ ﴾ [الشعراء:٦٧-٦٨].

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٥٣٢).

(٢) الجواب الصحيح (٤/٢٧٤).

وفي نصر الله لرسله، ومحق أعدائهم، دلائل على النبوة أيضاً من حيث إن الله تعالى أبقى هذه المعالم والآثار في الأرض حتى بلغ العلم بها مبلغ التواتر، كتواتر العلم بالطوفان، وتواتر العلم بدمار فرعون وقومه[1]. قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ﴾ [الروم:٩].

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله –: "فالعلم بأنه كان في الأرض من يقول بأنهم رسل الله وإن أقواماً اتبعوهم وإن أقواماً خالفوهم، وإن الله نصر الرسل والمؤمنين وجعل العاقبة لهم، وعاقب أعداءهم هو من أظهر العلوم المتواترة وأجلاها، ونقل هذه الأمور أظهر وأوضح من نقل أخبار ملوك الفرس والعرب في جاهليتها، وأخبار اليونان وعلماء الطب والنجوم والفلسفة اليونانية"[2].

خامساً: بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق:

كذلك من دلائل النبوة الدالة على صدقهم، تبشير الأنبياء السابقين بمن يأتي بعدهم من الأنبياء، وهذا دليل الصدق قال تعالى في سورة يونس – عليه السلام –:.

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ

(١) انظر شرح الأصفهانية، ص٩٩.

(٢) شرح الأصفهانية، ص١٠٣، وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ص١١٩.

﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ ۚ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾﴾ [يونس:٩٣-٩٤].

قال ابن كثير – رحمه الله – عند تفسير هذه الآية:

"أي أو ليس يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك إن العلماء من بني إسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها.." ا.هـ[1].

وتبشير النبي السابق بالنبي اللاحق لا يعني ذلك أن يذكره باسمه ومولده وقبيلته والسنة التي يخرج فيها، بل قد يكون الإخبار مجملاً يعرفه العوام، ويطلع عليه العلماء.

ثمرات الإيمان بالرسل:

١ – العلم برحمة الله بعباده.

٢ – إقامة الحجة على العباد بإرسال رسلاً منهميعرفون خ ُلُقهم وهم من البشر يأكلون الطعام ويمشون في الأسواق ولم يجعلهم ملائكة.

٣– شكر الله تعالى على هذه النعمة.

٤- محبة الرسل وتعظيمهم والثناء عليهم[2].

---

(١) تفسير ابن كثير (٥/٢٠٦).

(٢) انظر: شرح أصول الإيمان للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٣٨- ٣٩).

الأصل الخامس من أصول الإيمان

الإيمان باليوم الآخر

إن الإيمان باليوم الآخر، وما اشتمل عليه من أهوال ومشاهد، ابتداءً بحياة البرزخ إلى ما بعد ذلك من بعث، وحشر، وحساب، وجنة، ونار ..، ضرورة حتمية، إذ هو من مقتضيات الإيمان بحكمة الله تعالى وعدله قال تعالى: ﴿ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُواْ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ [الجاثية:٢١] .

والعاقل يرى في هذه الحياة، الطائعين القائمين بما أمر الله به وافترض عليهم، وبالمقابل يرى المكذبين لأمر الله المعرضين عن أوامره، ومع هذا فقد لا يحصل أحدٌ منهم على جزاءه في الدنيا، وحكمة الله تعالى تأبى أن تجعلهما متساويين: ﴿ أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ [القلم:٣٥-٣٦].

والمتأمل لهذا الكون العظيم، بما اشتمل عليه من دلائل الربوبية والألوهية، يعلم علماً يقينياً بأن هذا لم يخلق عبثاً ولا سدى [(١)] .

قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥] .

والإيمان باليوم الآخر من الإيمان بالغيب الذي مدح الله تعالى المتصفين به في قوله تعالى: ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ فِيهِ

(١) انظر شرح العقيدة الطحاوية ص٤٦٣ وما بعدها، والعقيدة الإسلامية وأسسها، ص٦٢١- ٣٢٧.

هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ [البقرة:١-٣] .

واليوم الآخر عالم آخر فيه أمور عظيمة، وأهوال جسيمة، لا ينجو منها إلا من نجاه الله فأسعده بطاعته، ولهذا كثرت أسماؤه وتعددت في القرآن الكريم، فمنها يوم البعث، ويوم الجمع، ويوم الفزع الأكبر، ويوم التناد، ويوم الدين، ويوم الحسرة، يوم الفصل، الواقعة، والحاقة، والطامة، ويوم الحشر .. إلخ [١] .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالبعث والجزاء

تعريف البعث:

البعث في اللغة: الإرسال يقال: بَعَثه وابتعثه بمعنى ً ، أي أرسله، فانبعث" [٢] .

ويأتي بمعنى الإسراع يقال: "انبعث في السير أي أسرع" [٣] .

ويأتي بمعنى الإحياء بعد الموت [٤] ، ويأتي بمعنى الإثارة، والنشر، والتحريك [٥] .

---

(١) انظر التذكرة للقرطبي، ص٢١٤، وفتح الباري (٤٠٣/١١) وقال ابن حجر – رحمه الله – : "جمعها الغزالي ثم القرطبي فبلغت ثمانين اسماً" ا.هـ، وقيل: إنما كثرت أسماؤه لتعدد أحواله وتغيرها فسمي كل حال بما يناسبه، وهناك أقوال أخرى، انظر لوامع الأنوار (١٦٨/٢- ١٦٩).

(٢) الصحاح (٢٧٣/١)، وانظر لسان العرب (١١٦/٢)، والقاموس المحيط ص ٢١١.

(٣) لسان العرب (١١٧/٢).

(٤) انظر المرجع السابق، وانظر الصحاح (٢٧٣/١).

(٥) انظر الصحاح (٢٧٣/١).

أما في اصطلاح الشرع: فيراد به البعث بعد الموت، بإحياء الأجساد، وعودة الأرواح إليها، وذلك بعد النفخ في الصور، النفخة الثانية.

قال ابن كثير – رحمه الله – : "البعث وهو المعاد، وقيام الأرواح، والأجساد يوم القيامة" [1] .

وقال الشيخ عبدالعزيز السلمان – حفظه الله – في تعريف البعث هو: "إعادة الأبدان وإدخال الأرواح فيها فيخرجون من الأجداث أحياء مهطعين إلى الداعي" ا.هـ [2] .

وهذه التعاريف تدل على اشتمال البعث على بعث الأجساد والأرواح، إذ المعاد الجسماني هو: "المتبادر عند الإطلاق، ويجب الإيمان به واعتقاده ويكفر منكره" [3] .

وأيضاً تعاد هذه الأبدان، بأعيانها وأعراضها قال القرطبي – رحمه الله – : "وعند أهل السنة أن تلك الأجساد الدنياوية تعاد بأعيانها وأعراضها بلا خلاف بينهم" [4] .

وقال ابن حزم – رحمه الله – : "أجمع جميع المسلمين على أن الله تعالى يبعث الأجساد يوم القيامة، فيرد إليها أرواحها" ا.هـ [5] .

بل معاد الأجساد أمر متفق عليه عند أصحاب الملل.

---

(١) تفسير ابن كثير (٤/٦١٤).

(٢) الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، ص٧٨- ٧٩.

(٣) الكواكب الدرية لشرح الدرة المصنية محمد بن مانع، ص٦٥.

(٤) التذكرة، ص١٨٢.

(٥) الأصول والفروع، ص١٦.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – : "ومعاد الأبدان متفق عليه عند المسلمين واليهود والنصارى" ا.هـ [1] .

والذي عليه سلف الأمة أن الأجساد تستحيل تراباً كما كانت [2] ، عدا عجب الذنب [3] كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – أن رسول الله ﷺ قال: "كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب، منه خلق وفيه يركب" [4] ، وهذهالاستحالة ليست أمراً مستحيلاً فها هي النطفة تستحيل علقة، ثم مضغة، ثم تكتمل بشراً سوياً، وكذلك في أثناء حياته فهو يبدأ طفلاً ثم شاباً، ثم كهلاً، وهكذا الإعادة، يعاد الخلق بعد أن استحالوا تراباً [5] .

ومع اتفاق الشرائع على الإخبار بالبعث و تأكيده، فقد أنكره قوم، وتأوله آخرون على المعاد الروحاني، دون الجسماني، اعتماداً على استحالة ذلك في عقولهم القاصرة،**والخلاصة أنَّ الناس في البعث على**

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٨٤)، وانظر أيضاً (٤/٢٦٢، ٣١٣- ٣١٥)، وتفسير الرازي (١٧/٧) ويقظة أولي الاعتبار، ص٢٣ وما بعدها، ولم يخالف إلا فرقة الصدوقيين من النصارى كما ذكر ذلك الأشقر في اليوم الآخر، ص (٩٢- ٩٤) وقولهم في الإصحاح الثاني والعشرين من إنجيل متى فقرة ٢٣.

(٢) يستثنى من ذلك أجساد الأنبياء والشهداء ونحوهم ممن خصهم الدليل، انظر حديث جابر – رضي الله عنه – ص٢١١.

(٣) عجب الذنب هو العظم الذي في أسفل الصلب عند العجز، وهو العسيب من الدَّواب، النهاية في غريب الحديث (٣/١٨٤).

(٤) رواه مسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب ما بين النفختين، رقم: ٢٩٥٥ (٤/٢٢٧١)، ورواه أبو داود في كتاب السنة، باب: ذكر البعث والصور رقم ٤٧٤٣ (٢/٦٤٩) عن أبي الزناد به بنحوه، ورواه النسائي في السنن في كتاب الجنائز باب أرواح المؤمنين رقم ٢٠٧٧ (٤/١١١- ١١٢) به.

(٥) انظر شرح العقيدة الطحاوية، ص٤٧١.

أربع طوائف:

الأول: إثبات المعاد للبدن والروح جميعاً، وهو قول سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن سار على نهجهم، بل على ذلك أيضاً اتفق المسلمون، وغيرهم من أهل الملل كاليهود والنصارى.

الثاني: إنكار المعاد للأبدان والأرواح، كما هو اعتقاد مشركي العرب، واليونان والهند، وهو مذكور في القرآن.

الثالث: قول من يثبت المعاد للأبدان فقط، ونسب شيخ الإسلام – رحمه الله – هذا القول إلى كثير من المتكلمين من الجهمية والمعتزلة.

الرابع: المعاد للأرواح فقط دون الأبدان وهو قول الفلاسفة أتباع أرسطو [1] من أمثال ابن سينا [2] ، والفارابي [3] ، وغيرهما من

---

(١) هو أشهر فلاسفة اليونان الأقدمين، لقب بأمير الفلسفة، ولد سنة (٣٨٤) ق.م وتوفي سنة (٣٢٢) ق.م، ذهب إلى أثينا في عصر ازدهار الفلسفة، وكان شيخها أفلاطون فالتحق به حوالي عشرين سنة ثم اعتزله فجأة، مما كان مسوغاً لنقد أعدائه وطعنهم، يلقب بالمعلم الأول، وله مؤلفات كثيرة في الإلهيات والطبيعيات، انظر دائرة معارف القرن العشرين (١/١٦٤- ١٦٩).

(٢) الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي فيلسوف، أصله من بلخ، ولد في إحدى قرى بخارى سنة ٣٧٠هـ، وكانت وفاته سنة ٤٣٨هـ، أظهر الإسلام، وأبطن الإلحاد والزندقة، قال ابن القيم – رحمه الله – : "وكان ابن سينا، كما أخبر عن نفسه قال: أنا وأبي من أهل دعوة الحاكم، فكان من القرامطة، الذين لا يؤمنون بمبدأ ولا معاد، ولا ربٍ خالق، ولا رسول، مبعوث جاء من عند الله" ا.هـ، إغاثة اللهفان (٢/٨٠) له مؤلفات كثيرة مليئة بالكفر والزندقة منها (المعاد) و(الشفا) و(القانون) وغيرها، انظر الأعلام للزركلي (٢/٢٤١- ٢٤٢).

(٣) محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ، أبو نصر الفارابي، يلقب بالمعلم الثاني، من الفلاسفة المنتسبين للإسلام ولد في فاراب سنة ٢٦٠، نشأ في بغداد وألف فيها معظم كتبه، ومن مؤلفاته (الفصوص)، و"آراء أهل المدينة الفاضلة" وغيرهما، توفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ، انظر الأعلام للزركلي (٧/٢٠).

المنافقين، والصابئين، والمجوس، والباطنية [1] ... [2].

وقد صرح ابن سينا وغيره من الفلاسفة بإنكار البعث الجسماني.

وهذا الضلال منشؤه القياس الفاسد، فقد قاسوا بعقولهم قدرة الرب تعالى بقدرة البشر، فاعتقدوا استحالة ذلك، ولهذا نجد أن القرآن الكريم في تقريره لقضية البعث، يركز على ثلاثة أصول:

الأول: تقرير كمال العلم، قال تعالى: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١] وهذه الآية جاءت بعد الآيات التي فيها إثبات البعث.

ومن ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِيٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ [يس:٧٨-٧٩].

الثاني: تقرير كمال القدرة كما في قوله تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ ﴾ [يس:٨١-٨٢].

---

(١) الباطنية: فرقة إباحية مؤسسها ميمون بن ديصان المعروف بالقداح يدعي أنه من ولد محمد بن إسماعيل بن جعفر الصادق، لهم صلة بالمجوس، لا يعترفون باليوم الآخر ولازم قولهم إبطال الشريعة وسقوط التكاليف وهم فرق شتى منها الصباحية والناصرية والقرامطة البابكية .. الخ، انظر اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، ص١١٨- ١٢٥.

(٢) انظر الجواب الصحيح (٤٠/٩٦- ١٠٠)، ومجموع الفتاوى (٤٠/٣١٣- ٣١٥) والمواقف ٣٧١- ٣٧٤، والقيامة الكبرى ٧١/٧٢.

الثالث: تقرير كمال الحكمة قال تعالى: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَـٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ ﴾ [المؤمنون:١١٥] وقوله: ﴿ أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَـٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى ﴿٣٦﴾ ﴾ [القيامة:٣٦] .. [1] .

وأدلة إثبات البعث والرد على منكريه كثيرة جداً، منها ما يتعلق بالإمكان ومنها ما يتعلق بالوقوع كما قصه الله تعالى علينا في القرآن الكريم كما في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾ [البقرة:٢٤٣] .

وقوله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾ [البقرة:٢٥٩] .

وقوله تعالى في شأن أصحاب الكهف: ﴿ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَـٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ ﴾ [الكهف:١٩] .

وغير ذلك وبيان ذلك في مواطنه [1] ، وقد تعددت أساليب القرآن الكريم وتنوعت طرقه في إثبات قضية البعث، بل لم يتناول

---

(١) انظر الفوائد، ص١٦- ١٧ ، وانظر تفسير الرازي (١٧/٢٧).

القرآن الكريم – بعد الإيمان بالله – أمراً من أمور العقيدة أبلغ مما تناول أمر البعث .

الاستدلال ببدء الخلق على إعادته، فمن بدأ الخلق من العدم فهو قادر على الإعادة قال تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ ﴾ [يونس:٤] الآية.

ويقول تعالى في سورة الحج: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ ۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ ﴾ [الحج:٥] الآية.

ولاشك أن من قدر على ذلك، قادر على الإعادة، إذ هي من باب أولى (٢).

قال ابن القيم – رحمه الله – : "خلق الإنسان فإنه من أعظم الأدلة على التوحيد والمعاد، وأي دليل أوضح من تركيب هذه الصورة الآدمية بأعضائها وقواها وصفاتها، وما فيها من اللحم والعظم والعروق والأعصاب والعلوم والإرادات والصناعات كل ذلك من نطفة ماء"ا.هـ(٣) .

---

(١) انظر المواقف للايجي، ص٣٧١- ٣٧٣، وتفسير الرازي (١٧/١٧- ٢٦)، ودرء تعارض العقل والنقل (١/٣٢- ٣٨) ومجموع الفتاوى (١٧/٢٤٦- ٢٦١)، والفوائد ص١٥- ١٧ ، وشرح العقيدة الطحاوية، ص٤٦٣- ٤٧٢.

(٢) انظر تفسير الرازي (١٧/٢٦)، وانظر الصواعق المرسلة (٢/٤٧٣- ٤٧٥ ، ٤٨٠).

(٣) الفوائد، ص٢١.

كما إن حكمة الرب تعالى وعدله تقتضي البعث والجزاء:

قال تعالى: ﴿ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ﴿٤﴾ ﴾ [يونس:٤] .

فالله تعالى خلق العباد وأمرهم ونهاهم، ووعدهم على امتثال أوامره وتوعدهم على ترك الأمر، فلو لم يكن هناك بعث وجزاء لكان هذا الأمر والنهي والوعد والوعيد عبثاً، وهذا ينزه عنه البارئ جل وعلا.

قال ابن القيم – رحمه الله – : "لهذا كان الصواب أن المعاد معلوم بالعقل مع الشرع، وأن كمال الرب تعالى، وكمال أسمائه وصفاته تقتضيه وتوجبه .. [1] ا.هـ.

"فلو لم يكن للإنسان عاقبة ينتهي إليها غير هذه الحياة الخسيسة المملوءة نصباً وهماً وحزناً ولا يكون بعدها حال مغبوطة لكان أخس الحيوانات أحسن حالاً من الإنسان" [2] .

ويقول تعالى: ﴿ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾ ﴾ [الحجر:٩٢-٩٣].

ويقول جل ذكره: ﴿ مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ ﴾ [القصص:٨٤].

---

(١) الفوائد، ص١٧.

(٢) تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين للراغب الأصفهاني، ص١٩٨.

إن إنكارهم للبعث ناتج عن قصور إدراكهم عن إعادة الإنسان بعد موته، وبعد أن أصبح رميماً، فلفت الحق جل وعلا أنظارهم إلى الأرض اليابسة فهي أشد جموداً وخموداً، ومع ذلك تفتقت بالنبات الأخضر وأينعت أطرافها، وعادت لها الحياة والنمو، فكذلك الإنسان (١).

ومن الأدلة العقلية على البعث:

لفت النظر إلى خلق السماوات والأرض، وخلق الأفلاك والكواكب، على ما اشتملت عليه من العظمة التي تعلو على خلق الإنسان أضعافاً مضاعفة، ولهذا عقب الله تعالى بعد ذكره لخلق السماوات والأرض في ستة أيام، بقوله تعالى: ﴿ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ﴾ [يونس:٤] .

ويقول جل ذكره: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [يونس:٥٥-٥٦] .

ويقول أيضاً: ﴿ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَا تُغْنِى ٱلْـَٔايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يونس:١٠١] .

ويقول تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ [يس:٨١] .

وبين شيخ الإسلام – رحمه الله – إمكان الاستدلال بالدليل العقلي على البعث من خلال هذه الأدلة بقوله: "الإنسان يعلم

---

(١) انظر اليوم الآخر في اليهودية والنصرانية والإسلام، تأليف، د. فرج الله عبدالباري، ص٣٩٧ وانظر محمد المثل الأعلى، تأليف أحمد جاد المولى، ص١٤٨- ١٤٩.

الإمكان الخارجي تارة بعلمه بوجود الشيء وتارة بعلمه بوجود نظيره، وتارة بعلمه بوجود ما الشيء أولى بالوجود منه، فإن وجود الشيء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه، ثم إنه إذا تبين كون الشيء ممكناً فلابد من بيان قدرة الرب على ذلك [1] ا.هـ.

ثم أثبت – رحمه الله – البعث على ضوء هذا الاستدلال إذ خلق السماوات والأرض أبلغ من خلق الإنسان: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ [غافر:٥٧] .

وكذلك البدء أشق من الإعادة: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾ [الروم:٢٧ .

أما الأدلّة على البعث من الحس:

فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا في سورة البقرة في خمس أمثلة :

١- قال الله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ(٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكُم مِّن بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة ٥٤.٥٥].

(١) درء تعارض العقل والنقل (١/٣١/٣٢).

٢- في قصة القتيل الذي اختصموا به بنو اسرائيل . قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ (٧٢) فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُحْيِي اللّهُ الْمَوْتَى وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة ٧٢,٧٣].

٣- في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فراراً من الموت وهم ألوف ، فأماتهم الله ثم أحياهم ، قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة ٢٤٣].

٤- في قصة الذي مر على قرية ميتة فاستبعد أن يحييها الله ، فأماته الله مائة سنة ثم أحياه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَـذِهِ اللّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْماً أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ آيَةً لِّلنَّاسِ وَانظُرْ إِلَى العِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْماً فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة ٢٥٩].

٥- في قصة ابراهيم الخليل حين سأل الله أن يريه كيف يحيي الموتى ، قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَى وَلَكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ

اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءاً ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْياً وَاعْلَمْ أَنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة ٢٦٠].

وقد ظل قوم من أهل الزيغ فانكروا عذاب القبر ونعيمه، وهذا الزعم باطل بالشرع والعقل:

أما الشرع: عن ابن عباس، قال: مر النبي صلى الله عليه وسلم بحائط من حيطان المدينة، أو مكة، فسمع صوت إنسانين يعذبان في قبورهما، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «**يعذبان، وما يعذبان في كبير**» ثم قال: «**بلى، كان أحدهما لا يستتر من بوله، وكان الآخر يمشي بالنميمة**». ثم دعا بجريدة، فكسرها كسرتين، فوضع على كل قبر منهما كسرة، فقيل له: يا رسول الله، لم فعلت هذا؟ قال: «**لعله أن يخفف عنهما ما لم تيبسا**» أو: «**إلى أن ييبسا**»(١).

وأما من الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج يتنعم فيه، وأنه كان في مكان ضيق موحش يتألم منه ، قال تعالى :

﴿ اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر ٤٢].

---

(١) صحيح البخاري (كتاب الوضوء- باب من الكبائر ألا يستتر من بوله) برقم (٢١٦)، (٥٣/١).

وكذلك النائم يرى في منامه رؤيا الحق المطابقة للواقع ويرى النبي صلى الله عليه وسلم ومع ذلك فهو نائم في حجرته على فراشه.

فإن كان هذا ممكن في أحوال الدنيا أفلا يكون ممكن في أحوال الآخرة؟!.

فإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود فلا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب ولم يدركوه[1].

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالحشر:

تعريفه:

الحشر لغة: الجمع يقال "حشرهم يحشرهم حشراً: جمعهم" [2] وسمي بهذا الاسم لأنه تجتمع فيه الخلائق [3].

وفي اصطلاح الشرع: جمع الخلائق، وسوقهم إلى أرض المحشر بما فيهم المكلف وغير المكلف من البهائم والوحوش على القول الصحيح وذلك لفصل القضاء [4].

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [يونس:٢٨] الآيات وقال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ

(١) انظر فيما سبق: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص ٤٦ ، ٥١)، و شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين رحمه الله (ص ١١٢ ، ١١٣).

(٢) لسان العرب (١٩٠/٤) مادة "حشر".

(٣) انظر الصحاح (٦٣٠/٢)، وانظر لسان العرب (١٩٠/٤).

(٤) انظر تحفة المريد شرح جوهرة التوحيد، ص١٧٠.

كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْۚ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس:٤٥].

عموم الحشر للثقلين والبهائم والوحوش:

وعلى أرض المحشر يحشر الله تعالى الخلائق، من الإنس، والجن، وهذا لا خلاف فيه، وأما حشر البهائم والوحوش، فاختلف فيه العلماء على قولين:

الأول: بأنها تحشر جميعاً، وهو قول أبي ذر، وأبي هريرة، وعمرو بن العاص وابن عباس والحسن وغيرهم [(١)] ورجحه ابن جرير [(٢)]، والقرطبي [(٣)]، وذهب إليه شيخ الإسلام ابن تيمية [(٤)]، وابن كثير [(٥)] – رحمه الله تعالى – واستدلوا بعدة أدلة منها:

١ – قوله تعالى: ﴿ وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْۚ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ [الأنعام:٣٨].

٢ – قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ ﴿٥﴾ ﴾ [التكوير:٥].

٣ – قوله تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ [الشورى:٢٩].

---

(١) انظر جامع البيان (٧/١٨٨ - ١٨٩)، وانظر التذكرة ٢٧٣.

(٢) انظر جامع البيان (٧/١٨٩).

(٣) انظر التذكرة (٢٧٣).

(٤) انظر مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٥) انظر النهاية في الفتن والملاحم (٢/٢٣٤).

قال شيخ الإسلام: "وحرف (إذا) إنما يكون لما يأتي لا محالة" [1] ا.هـ.

أيضاً استدلوا بالأحاديث الدالة على القصاص بين البهائم، ومنها حديث أبي هريرة – رضي الله عنه – أنه رسول الله ﷺ قال: **"لتؤدُّن الحقوق إلى أهلها يوم القيامة، حتى يقاد للشاة الجلحاء** [2] **من الشاة القرناء"**[3].

قال شيخ الإسلام – رحمه الله – : "والأحاديث في ذلك مشهورة، فإن الله عز وجل يوم القيامة يحشر البهائم ويقتص لبعضها من بعض، ثم يقول لها:كوني تراباً، فتصير تراباً، فيقول الكافر حينئذ: ﴿ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَابَۢا ۝٤٠ ﴾ [النبأ:٤٠] ا.هـ [4].

القول الثاني: من قال بعدم الحشر للبهائم، وأن معنى حشرها موتها روى عن ابن عباس في رواية عنه، والضحاك [5].

ودليلهم أن هذه البهائم لا تعقل، ولا تفقه وليست مكلفة لقوله تعالى: ﴿ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا ۝٤٤ ﴾ [الفرقان:٤٤] .

فهي ليست أهلاً للكرامة، فلا فائدة من حشرها [1] .

---

(١) مجموع الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٢) "هي التي لا قرن لها" النهاية في غريب الحديث (١/٢٨٤).

(٣) رواه مسلم في كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم رقم: ٢٥٨٢ (٤/١٩٩٧)، ورواه أحمد في مسنده (١٢/١٩٣)، ط، دار المعارف بمصر عن العلاء به بنحوه. ورواه الترمذي في كتاب صفة القيامة باب ما جاء في شأن الحساب والقصاص رقم ٢٤٢٢ (٧/١٣٨) عن العلاء به.

(٤) انظر الفتاوى (٤/٢٤٨).

(٥) انظر جامع البيان (٧/١٨٨) وانظر (٣٠/٦٧) وانظر زاد المسير (٣/٣٦)، وانظر التذكرة، ص٢٧٣.

أحوال أهل المحشر:

جاء في الأحاديث أن الناس يحشرون حفاة، عراة، غرلاً [٢] كما جاء عن عائشة – رضي الله عنها – قالت: قال رسول الله ﷺ : "تحشرون حفاة عراة غرلاً" قالت عائشة: فقلت يا رسول الله، الرجال والنساء ينظر بعضهم إلى بعض؟ فقال: الأمر أشد من أن يهمهم ذلك"[٣] .

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بأهوال يوم القيامة.

وفي ذلك اليوم تشتد الأهوال، ويعظم الخطب، ويود الكافر أن له ملك ما في الأرض ليفتدي به من سوء العذاب: ﴿ وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ۝ ﴾ [الحج:٢].

وتدنو الشمس من الرؤوس، ويرتفع العرق كما روى مسلم عن المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "تُدنى الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل".

قال سُليم بن عامر [٤] : فوالله ما أدري ما يعني بالميل؟ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين؟

---

(١) انظر التذكرة، ص٢٧٤.

(٢) "الغرلُ" جمل الأغرل، وهو الأقلف والغرلة: القلفة النهاية في غريب الحديث (٣٦٢/٣).

(٣) رواه البخاري في كتاب الرقاق، باب: كيف الحشر رقم: ٦١٦٢ (٢٣٩١/٥)، ورواه مسلم في الجنة وصفة نعيمها، باب: فناء الدنيا وبيان الحشر يوم القيامة، رقم ٢٨٥٩ (١٩٤/٤) عن حاتم بن أبي صفيرة به، بنحوه.

(٤) أحد رواة الحديث وهو: سليم بن عامر الكلاعي من التابعين، وقيل إنه أدرك النبي – صلى الله عليه وسلم – مات سنة ١٣٠هـ، انظر تهذيب التهذيب (١٤٦/٤- ١٤٧).

قال: "فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجاماً" [1].

وفي هذا اليوم العظيم يفر المرء من أخيه، والولد من والديه، والصاحب من صاحبته وكل يقول نفسي نفسي.

ويطول ذلك اليوم، ولهذا فهم عند البعث يظنون أنهم ما لبثوا إلا ساعة من نهار، وذلك قياساً على يوم الحشر [2].

كما في قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّنَ ٱلنَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِلِقَآءِ ٱللَّهِ وَمَا كَانُواْ مُهْتَدِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ [يونس:٤٥] .

وهذا الطول بالنسبة لغير المؤمنين، أما المؤمنون فيخفف عليهم كما جاء ذلك في الأحاديث [3] ، ومنها ما رواه الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال: قيل لرسول الله يوما كان مقداره خمسين ألف سنة ما أطول هذا اليوم، فقال رسول الله ﷺ : "والذي نفسي بيده إنه ليخفف على المؤمن حتى يكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصليها في الدنيا"[4].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب: صفة يوم القيامة رقم: ٢٨٦٤ (٤/٢١٩٦).

(٢) انظر القيامة الكبرى، ص٩٨.

(٣) انظر مجمع الزوائد باب خفة يوم القيامة على المؤمنين (١٠/٣٣٧).

(٤) رواه أحمد في المسند (٣/٩٥)، ط المكتب الإسلامي، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد "رواه أحمد وأبو يعلى وإسناده حسن على ضعف في رواية" ا.هـ (١٠/٣٣٧).

ويؤيد صحة ما سبق ما رواه ابن جرير – رحمه الله – عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ۝٤ ﴾ [المعارج:٤] .

قال: "فهذا يوم القيامة، جعل الله على الكافرين مقدار خمسين ألف سنة" [(١)] .

وقال القرطبي – رحمه الله – : وهذا القول أحسن ما قيل في الآية إن شاء الله [(٢)] .

ومن شدة الأهوال يتسارع الخلق إلى الأنبياء يطلبون منهم الشفاعة في فصل القضاء، وفيه يقوم نبينا محمد ﷺ مقاماً يغبطه عليه الأولون والآخرون، وهو المقام المحمود.

ثم يفصل الرب تعالى بين خلقه بشفاعة نبينا محمد ﷺ ويقضي بينهم بالقسط، قال تعالى: ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ ۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۝٤٧ ﴾ [يونس:٤٧].

وأول الأمم يقضى بينهم، أمة محمد ﷺ لشرف نبيها ﷺ كما في الصحيحين عن حذيفة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ[(٣)]: "أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا، فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة والسبت والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، الأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل

---

(١) رواه ابن جرير في تفسير (٢٩/٧١).

(٢) الجامع لأحكام القرآن (١٨/٢٨٢).

(٣) انظر النهاية في الفتن والملاحم (٢/٢٣٦- ٢٣٧).

الخلائق" [1].

ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالجنة وأنها مخلوقة وموجودة وأنها لا تفنى ولا تبيد وهي دار النعيم المقيم .

وبعد البعث والحشر، والحساب، والجزاء ينقسم الناس إلى فريقين فريق في الجنة، وفريق في السعير، فأما أهل الجنة ففي نعيم دائم، يقول تعالى مبينا نعيمهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ۝٩ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝١٠ ﴾ [يونس:٩-١٠] .

قال ابن جرير – رحمه الله – في قوله تعالى:﴿ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾، فإن قال قائل: وكيف قيل تجري من تحتهم الأنهار، وإنما وصف جل ثناؤه أنهار الجنة في سائر القرآن أنها تجري تحت الجنات، وكيف يمكن الأنهار أن تجري من تحتهم إلا أن يكونوا فوق أرضها، والأنهار تجري من تحت أرضها، وليس ذلك من صفة أنهار الجنة، لأن صفتها أن تجري على وجه الأرض في غير أخاديد؟ قيل: إن معنى ذلك .. تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النعيم، وذلك نظير قوله تعالى:﴿ قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ۝٢٤ ﴾ [مريم:٢٤] ومعلوم أن لم يجعل السري تحتها وهي عليه قاعدة .. وإنما عني به جعل دونها: بين يديها .." ا.هـ [2].

---

(١) رواه مسلم في كتاب الجمعة باب هداية الأمة ليوم الجمعة رقم ٨٥٦ (٢/٥٨٦) واللفظ له ورواه البخاري في كتاب الجمعة، باب فرض الجمعة رقم ٨٣٦ (١/٢٩٩) عن أبي هريرة، بنحوه، وليس فيه لفظ "والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق".

(٢) جامع البيان (١١/٨٩).

ويقول تعالى في وصف حال أهل الجنة: ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٦﴾ ﴾ [يونس:٢٦] .

وتستقبل الملائكة المؤمنين بالحفاوة، والسلام، والبشرى قال تعالى: ﴿ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس:٢].

وقوله: ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ ﴾ .[يونس:٦٣-٦٤] .

ونعيم الجنة لا يمكن وصفه، ففيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، روى أبو هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "قال الله تعالى: أعددت لعبادي الصالحين: ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر"، فاقرؤوا إن شئتم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ ﴾ [السجدة:١٧](١)، ومن أعظم نعيم أهل الجنة رؤية الله تعالى، قال تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة٢٢,٢٣]، جعلنا الله من أهلها بمنه وكرمه.

ولهذا كان من أسمائها دار السلام، لأنها سلمت من كل الآفات، والأكدار والمنغصات، وسلم أهلها من العيوب والنقائص، وتعظيماً لها

---

(١) رواه البخاري في كتاب بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة رقم: ٣٠٧٢ (١١٨٥/٣)، ورواه مسلم في كتاب الجنّة وصفة نعيمها في مقدمته رقم: ٢٨٢٤ (٢١٧٤/٤) عن سفيان به.

إذا اشتق لها البارئ سبحانه اسماً من أسمائه (السلام)، ولكثرة ما فيها من التحية والسلام [1] وقال تعالى: ﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ﴾ [يونس:١٠] ، ويقول تعالى: ﴿ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ [يونس:٢٥] .

ومن أسماء الجنة (قدم صدق) قال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ [يونس:٢] .

ونظير ذلك تسميتها (بمقعد صدق) قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾ [القمر:٥٤-٥٥].

قال ابن القيم – رحمه الله – : "سمى جنته مقعد صدق لحصول كل ما يراد من المقعد الحسن فيها ما يقال: مودة صادقة، إذا كانت ثابتة تامة .." [2] .

ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالنار وأنها مخلوقة وموجودة وأنها لا تفنى.

قال تعالى مبينا خزيهم، وصفاتهم قبل نزول العذاب بهم: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُواْ بِٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱطْمَأَنُّواْ بِهَا وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ﴿٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ ﴾ [يونس:٧-٨] .

وفي بيان حالهم يوم القيامة يقول تعالى:﴿ وَٱلَّذِينَ كَسَبُواْ

---

(١) انظر حادي الأرواح، ص٩٠، وانظر الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس، ص٥٢.

(٢) حادي الأرواح، ص٩٠، وللاستزادة من حال أهل الجنة انظر صفة الجنة لأبي نعيم الأصبهاني، وانظر كتب الحديث التي أفردت لذلك أبواباً كالبخاري ومسلم وغيرهما.

﴿ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ ۖ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ ۖ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [يونس:٢٧].

وقوله: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [يونس:٥٢] .

وفي بيان حسرتهم، وندمهم يقول تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِى ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦ ۗ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يونس:٥٤].

وفي الحديث عن أنس يرفعه: "أن الله يقول لأهون أهل النار عذاباً: لو أن لك ما في الأرض من شيء كنت تفتدي به؟ قال: نعم، قال: فقد سألتك ما هو أهون من هذا وأنت في صلب آدم: ألا تشرك بي فأبيت إلا الشرك [1] .

وتعظم أبدانهم للعذاب كما في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه – قال: قال رسول الله ﷺ : "ضرس الكافر، أو ناب الكافر، مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث" [2] .

وهم متفاوتون في العذاب، وذلك بحسب كفرهم، وإفسادهم قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ زِدْنَٰهُمْ عَذَابًا فَوْقَ

---

(١) رواه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء باب خلق آدم صلوات الله عليه رقم ٣٣٣٤(٤/١٣٣)، ورواه أحمد رقم ١٢٣١٢(١٩/٣٢٤).

(٢) رواه مسلم في كتاب الجنة وصفة نعيمها باب النار يدخلها الجبارون، والجنة يدخلها الضعفاء رقم ٢٨٥١ (٤/٢١٨٩)، ورواه الترمذي في كتاب صفة جهنم، باب ما جاء في عظم أهل النار، رقم ٢٥٨٠ (٧/٢٤٩- ٢٥٠) عن أبي هريرة – رضي الله عنه – بنحوه وزاد "وإن مجلسه من جهنم كما بين مكة والمدينة".

﴿ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [النحل:٨٨] .

وكذلك عصاة المؤمنين عذابهم متفاوت، فمنهم من يشتد عذابه، إما لوجود حسنات ماحية، أو يغفر الله تعالى له بعض ذنوبه، وهذا فيمن دخل النار منهم (١) .

والجنة، والنار بما فيهما من النعيم، والعذاب، مخلوقتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما دل عليه القرآن، وتواترت به السنة، وكما هو اعتقاد أهل السنة والجماعة (٢) .

قال ابن كثير – رحمه الله – : "والجنة والنار موجودتان الآن، معدتان لأصحابهما، كما نطق بذلك القرآن؟ وتواترت بذلك الأخبار عن رسول الله ﷺ وهذا اعتقاد أهل السنة والجماعة، وهي السنة المثلى إلى قيام الساعة" (٣) .

ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

١ – المسارعة في الطاعات والحرص عليها والتوبة والإنابة من الذنوب والمعاصي.

٢ – تسلية المؤمن عما يصيبه من المصائب والبلاء، وكذلك ما يفوته من حظوظ الدنيا ومتعها.

---

(١) انظر التخويف من النار لابن رجب، ص١٤١- ١٤٢.

(٢) انظر مقالات الإسلاميين ص٢٩٦، والشريعة ٣٨٧- ٣٩٥ وانظر حادي الأرواح، ص١١، والحجة في بيان المحجة (١/٤٧٢- ٤٧٤) والنهاية في الفتن والملاحم (٢/٤١٦)، وشرح العقيدة الطحاوية، ص٤٨٤ واللآلئ البهية في شرح لامية شيخ الإسلام، ص٨٠، ومشكاة المصابيح (٣/١٥٨٦) وما بعدها.

(٣) النهاية في الفتن والملاحم (٢/٤١٦).

٣- الخروج من المظالم والتحلل منها قبل مجيئ يوم لا ظلم فيه.

٤- الاستعداد للموت[1].

(١) انظر: شرح أصول الإيمان لابن عثيمين ص ٥١.

الأصل السادس من أصول الإيمان

الإيمان بالقضاء والقدر

إن من أسباب سعادة المؤمن، وانشراح صدره في هذه الحياة، إيمانه بالقضاء والقدر، لأنه يعلم أن الأمور كبيرها وصغيرها كلها بتقدير الله تعالى فيرضى ويسلم، والإيمان بالقضاء والقدر من أهم ركائز العقيدة الإسلامية، وهو ركن من أركانها.

تعريف القضاء والقدر:

القضاء في اللغةأصله قَضَ َ اي ٌ لأنه من قضيت، إلا أن الياء لما جاءت بعد الألف همزت والجمع الأقضية" [1] .

ومن معانيه في اللغة الحكم[2] ، وهو أوضح معاني القضاء وأشدها ارتباطاً به، ويأتي بمعنى الوجوب والوقوع [3] ، قال تعالى: ﴿ **قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ٱلَّذِي فِيهِ تَسۡتَفۡتِيَانِ** ﴿٤١﴾ ﴾ [يوسف:٤١] وبمعنى الإكمال والإتمام [4] ومنه قوله تعالى: ﴿ **فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ** ﴾ [القصص:٢٩] الآية ويأتي أيضاً بمعنى الأمر [5] وله معان أُخرى [6]

---

(١) الصحاح (٦/٢٤٦٣)، وانظر لسان العرب (١٥/١٨٦).

(٢) النهاية في غريب الحديث (٤/٧٨)، وانظر الصحاح (٦/٢٤٦٣)، وانظر لسان العرب (١٥/١٨٦)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٦).

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٧).

(٤) انظر الصحاح (٦/٢٤٦٣)، وانظر لسان العرب (١٥/١٨٧)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٧).

(٥) انظر لسان العرب (١٥/١٨٦)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٦).

(٦) انظر الصحاح (٦/٢٤٦٣- ٢٤٦٤)، وانظر مختار الصحاح ص٢٦٦، وانظر لسان العرب (١٥/١٨٦- ١٨٩)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٧٦- ٢٧٨).

وأما القصر فهو قَدَّر، يَقدِر قَدَراً، وقد تُسكَّن داله" [1].

ومن معانيه الحكم والقضاء[2]، والشرف، والعظمة [3] ومنه قوله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ۝١ ﴾ [القدر:١] ويأتي بمعنى التضييق في المكان أو الرزق [4] ففي المكان كما في قوله تعالى: ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَـٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ ﴾ [الأنبياء:٨٧] الآية.

وفي الرزق كما في قوله تعالى: ﴿ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ﴾ [الطلاق:٧] الآية ويأتي بمعنى التقدير [5]، وبمعنى القدرة والقوة[6] وهناك معان أخرى [7].

وأما في الشرع:

هناك من العلماء من جعل القضاء والقدر بمعنى واحد، وهناك من ذكر بينهما فروقاً فقيل: "القضاء من الله تعالى أخص من القدر، لأنه الفصل بين التقدير فالقدر هو التقدير، والقضاء هو الفصل والقطع" [8].

---

(١) النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢).

(٢) انظر الصحاح (٢/٧٨٦)، وانظر المفردات في غريب القرآن ص ٣٩٥، وانظر النهاية في غريب الحديث (٤/٢٢)، وانظر لسان العرب (٥/٧٦).

(٣) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٤٣).

(٤) انظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٤٣).

(٥) انظر الصحاح (٢/٧٨٦)، وانظر المفردات، ص٣٩٥، وانظر النهاية في غريب الحديث (٤/٢٣)، وانظر لسان العرب (٥/٧٦).

(٦) انظر الصحاح (٢/٧٨٧)، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٤٤).

(٧) انظر الصحاح (٢/٧٨٦) وما بعدها، وانظر لسان العرب (٥/٧٤) وما بعدها، وانظر بصائر ذوي التمييز (٤/٢٤٣- ٢٤٦).

(٨) المفردات في غريب القرآن ص٤٠٦- ٤٠٧.

وقيل: القدر قبل وقوعه يمكن دفعه، بخلاف القضاء فلا راد له[1] وقيل: "القضاء هو الحكم الكلي الإجمالي في الأزل، والقدر جزئيات ذلك الحكم وتفاصيله" [2].

وبتأملي لهذه الفروق، لم أجد هناك أثراً مترتباً على هذا الخلاف كما أنه لا يوجد دليل فاصل بين القولين [3]، والله تعالى أعلم.

ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر: الإيمان بعلم الله بما الخلق عاملون، بعلمه القديم الذي هو موصوف به أزلاً، وكتابته في اللوح المحفوظ مقادير كل شيء، ثم الإيمان بمشيئته جل وعلا، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن ووقوعهما على التقدير السابق زماناً، وصفةً.

وهذا ما عليه أهل السنة والجماعة [4].

وللإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب يجب الإيمان بها جميعاً.

المرتبة الأولى: العلم، ومعناه الإيمان بأن الله تعالى يعلم ما كان وما يكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وهو تعالى يعلم ما الخلق عاملون وعلم أحوالهم، وآجالهم وأرزاقهم، وهو متصف بهذا العلم أزلاً وأبداً، وهذا ما اتفقت عليه هذه الأمة، عدا فرقة القدرية الضالة

---

(١) انظر المرجع السابق ص٤٠٧.

(٢) فتح الباري (٤٨٦/١١)، وانظر الدين الخالص (١٥٤/٣).

(٣) وانظر القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة للشيخ عبدالرحمن المحمود، ص١٩- ٢٢، رسالة ماجستير مقدمة إلى جامعة الإمام محمد بن سعود، قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة.

(٤) انظر مجموع الفتاوى (١٤٨/٣- ١٤٩)، (٤٤٩/٨، ٤٥٢، ٤٥٩)، وانظر الواسطية، ص٢٢- ٢٣ وانظر التدمرية ص٢٠٩، وانظر شرح العقيدة الطحاوية، ص٢٥١، وانظر لوامع الأنوار (٣٤٨/١).

التي ظهرت في أواخر عهد الصحابة [1].

ومنكر هذه المرتبة كافر بالإجماع [2].

قال تعالى: ﴿ بَلْ كَذَّبُواْ بِمَا لَمْ يُحِيطُواْ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ ..﴾ [يونس:٣٩] الآية.

وقوله: ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُواْ مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١].

وقوله: ﴿ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ ﴾ [يونس:٦٥].

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، ومعناها أن الله تعالى كتب مقادير كل شيء في اللوح المحفوظ، وعلى ذلك أجمع أهل السنة.

---

(١) فرقة القدرية ظهرت في أواخر عهد الصحابة رضوان الله تعالى عليهم، وأول من قال بنفي القدر معبد الجهني كما ذكرت أكثر المصادر، وقتل صبراً في زمن الحجاج عند خروجه من ابن الأشعث، وقد قيل: إنه مات مصلوباً بدمشق لبدعته في القدر، وكان القدرية الغلاة ينفون العلم السابق وأن الله تعالى لا يعلم الأشياء إلا بعد وقوعها وأن الأمر أنف ثم ظهرت بعد ذلك فرقة القدرية المجوسية نفاة المشيئة والخلق وهم جمهور المعتزلة ومن وافقهم من الخوارج والمرجئة والشيعة، انظر الفصل في الملل والنحل (٨٢/٣)، انظر الملل والنحل للشهرستاني (٣٠/١) (٤٥/١)، وانظر مجموع الفتاوى (٢٦٤/٧)، وانظر ميزان الاعتدال (١٤١/٤)، وانظر تهذيب التهذيب (٢٠٣/١٠-٢٠٤).

(٢) انظر السنة للخلال، ص ٥٢٩- ٥٣٠، وانظر الإبانة ص٢٠٣ وانظر شرح أصول الاعتقاد (٧٠٦/٤ وما بعدها) وانظر مجموع الفتاوى (٤٩١/٨- ٤٩٧)، وانظر شفاء العليل ص ٥٥- ٦٣، وانظر معارج القبول (٣٢٨/٢) وانظر (٩٢٠/٣- ٩٢٣).

قال ابن القيم – رحمه الله – : "وأجمع الصحابة والتابعون، وجميع أهل السنة والحديث أن كل كائن إلى يوم القيامة فهو مكتوب في أم الكتاب" ا. هـ [1] .

ودليلها في قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٦١﴾ ﴾ [يونس:٦١] وهذه الآية جمعت بين مرتبتي العلم والكتابة، وهذا يقع كثيراً في القرآن الكريم [2] كقوله تعالى:﴿ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ [الحج:٧٠] .

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة قال وعرشه على الماء" [3] .

والأدلة على هذه المرتبة من الكتاب والسنة كثيرة جداً [4] .

المرتبة الثالثة: المشيئة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، قال ابن القيم – رحمه الله – : "وهذه المرتبة قد دل عليها إجماع الرسل من أولهم إلى آخرهم، وجميع الكتب المنزلة من عند الله، والفطرة التي فطر الله عليها خلقه، وأدلة العقول والعيان ..، والمسلمون من أولهم إلى آخرهم مجمعون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن" ا.هـ [5] .

---

(١) شفاء العليل، ص٧٧.

(٢) انظر تفسير الكريم الرحمن (٣٦٦/٣).

(٣) رواه مسلم في كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى – عليهما السلام – رقم ٢٦٥٣ (٢٠٤٤/٤).

(٤) انظر شفاء العليل من ص٧٣ إلى ص ٧٩، وانظر معارج القبول (٩٢٤/٣- ٩٤٠).

(٥) شفاء العليل، ص٨٠.

والإيمان بالمشيئة إيمان بحقيقة الربوبية، إذ لا يجري في الكون إلا ما يشاؤه الرب تعالى، فالخلق خلقه، والعباد عباده، والرزق رزقه، والعطاء عطاؤه، والمنع منعه، إذ لا مالك غيره، ولا رب سواه [1].

ودليلهما في قوله تعالى:﴿ قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦ ﴾ [يونس:١٦].

وقوله: ﴿ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ٢٥ ﴾ [يونس:٢٥] .

وقوله تعالى: ﴿ قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي ضَرّٗا وَلَا نَفۡعًا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌۚ إِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ فَلَا يَسۡتَـٔۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا يَسۡتَقۡدِمُونَ ٤٩ ﴾ [يونس:٤٩].

وقوله جل ذكره: ﴿ وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًاۚ أَفَأَنتَ تُكۡرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُواْ مُؤۡمِنِينَ ٩٩ وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تُؤۡمِنَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَجۡعَلُ ٱلرِّجۡسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ١٠٠ ﴾ [يونس:٩٩-١٠٠] .

وهذه المشيئة متعلقة بالأمر الكوني القدري، وهي مستلزمة لوقوع المراد ولا يلزم منها الحب والبغض، كما شاء الله تعالى خلق إبليس والشياطين والكفار وهو يبغضهم، وكذلك خلقه من الأفعال ما يبغضه ويسخطه، كالكفر والشرك والنفاق، فهو سبحانه يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، لا يسأل عما يفعل.

---

(١) انظر المرجع السابق ص٨٠- ٩٠.

وأما المحبة والرضا فمتعلقها أمره تعالى الديني، وهو لا يستلزم الوقوع، إذ قد يحب الله تعالى أمراً ولا يشاؤه فلا يقع لعدم المشيئة، وقد يشاؤه ويحبه فيقع[1].

والأحاديث في إثبات هذه المرتبة كثيرة وقد عقد البخاري – رحمه الله – في صحيحه لذلك باب ساق فيه جملة من الأحاديث[2].

المرتبة الرابعة: الخلق، وتعني الإيمان بأن الله خالق كل شيء، بما في ذلك أفعال العباد، وقدرهم، وآجالهم، وهذه المرتبة اتفق عليها أهل الإسلام، واتفقت عليها الكتب الإلهية ونازع فيها التي قبلها طوائف من القدرية[3].

ودليلها في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ﴾ [الأعراف:٥٤] الآية.

وقوله: ﴿ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ﴿٦﴾ ﴾ [يونس:٦].

وفي قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ [الزمر:٦٢] قال ابن القيم – رحمه الله – : "وهذا عام محفوظ لا يخرج عنه شيء من العالم أعيانه وأفعاله، وحركاته وسكناته،

---

(١) انظر مجموع الفتاوى (٨/١٨٨- ١٩٠) و(٨/١٩٧- ٢٠٠)، وانظر منهاج السنة (٣/١٦- ١٧) (٣/١٨٠، ١٥٦- ١٥٨)، وانظر شفاء العليل ص (٨٨- ٩٠)، (٤٤٥- ٤٤٨)، وانظر فتح الباري (١٣/٤٥٨- ٤٥٩)، وانظر لوامع الأنوار (١/٣٣٨- ٣٣٩).

(٢) انظر صحيح البخاري كتاب التوحيد، باب في المشيئة والإرادة (٦/٢٧١٥).

(٣) انظر منهاج السنة (٣/١٢- ١٣، ١٢٨- ١٢٩)، وانظر شفاء العليل، ص٩١.

وليس مخصوصاً بذاته وصفاته، فإن الخالق بذاته وصفاته وما سواه مخلوق له" ا.هـ [1] .

ومنكر هذه المرتبة مبتدع ضال، ولا يحكم بكفره، ما لم ينكر العلم[2].

هذه هي مراتب القدر التي لا يكتمل إيمان المسلم، إلا بإيمانه بجميعها[3].

كما جاء في حديث جبريل عندما سأل رسول الله ﷺ "ما الإيمان قال: **أن تؤمن بالله وملائكته، وكتابه، ولقائه، ورسله، وتؤمن بالبعث وتؤمن بالقدر كله**، قال: صدقت .." الحديث [4] .

رُوي عن أبي الدرداء – رضي الله عنه – عن النبي ﷺ قال: **"لكل شيء حقيقة وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه"** [5] وقال ابن عباس – رضي الله عنه – : "القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله عز وجل وكذب بالقدر

---

(١) شفاء العليل، ص٩٧.

(٢) انظر الإيمان لابن تيمية ص٣٦٩.

(٣) انظر الواسطية ص ٢٢- ٢٣، وانظر جامع العلوم والحكم (١/١٠٣- ١٠٤)، وانظر لمعة الاعتقاد مع شرحها للشيخ محمد بن عثيمين (٩٢- ٩٣)، وانظر القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة "رسالة ماجستير" بجامعة الإمام محمد بن سعود للشيخ عبدالرحمن المحمود ٢٣- ٥٨.

(٤) رواه مسلم في كتاب الإيمان باب بيان الإيمان والإسلام ووجوب الإيمان بإثبات قدر الله سبحانه وتعالى رقم ١٠ (١/٤٠).

(٥) رواه أحمد في مسنده (٦/٤٤١- ٤٤٢)، ورواه أبو عاصم في السنة رقم: ٢٤٧٦ (١/١١٠) عن أبي الربيع به بنحوه، وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح، رجاله ثقات على ضعف هشام، ولكنه قد توبع، ولحديثه شواهد ا.هـ ظلال الجنة، ص(١/١١٠).

كان تكذيبه بالقدر نقضاً للتوحيد ومن وجد الله وآمن بالقدر، كانت العروة الوثقى" [1] .

قال الإمام النووي – رحمه الله – : "تظاهرت الأدلة القطعية من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة، وأهل الحل والعقد، من السلف والخلف على إثبات قدر الله سبحانه وتعالى" ا.هـ [2] .

وقال الإمام الشوكاني – رحمه الله – : "الإيمان بالقدر خيره وشره فهي الخصلة العظمى التي تتفاوت فيها الأقدام بكثير من الدرجات، فمن رسخ قدمه في هذه الخصلة ارتفعت طبقته في الإيمان" ا.هـ [3] .

ثمرات الإيمان بالقدر:

١- التوكل على الله وتفويض الأمر له سبحانه.

٢- السعادة التي تحصل للعبد بالرضا بقضاء الله وقدره كما بينها عليه الصلاة والسلام في قوله: «عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء، صبر فكان خيرا له» [4].

---

(١) رواه الآجري في الشريعة ص ٢١، ورواه اللالكائي في شرح أصول الاعتقاد برقم ١١١٢ (٦٢٣/٣) من طريق أخرى بنحوه، ورواه أيضاً برقم: ١٢٢٤ (٦٧٠/٤) بأطول منه، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد (١٩٧/٧) ثم قال: "رواه الطبراني في الأوسط وفيه هانئ بن المتوكل وهو ضعيف، وقال الألباني: "ضعيف موقوفاً ومرفوعاً" تخريج العقيدة الطحاوية، ص٢٥٠، قلت: وإن كان ضعيفاً فمعناه صحيح.

(٢) شرح مسلم (١٥٥/٢).

(٣) قطر الولي على حديث الولي ص ٤١٣.

(٤) صحيح مسلم(كتاب الزهد والرقاق - باب المؤمن أمره كله خير)، (٢٢٩٥/٤) برقم(٢٩٩٩).

٣- نفي العجب عن النفس.
٤- المسارعة للعمل الصالح وعدم الاتكال[1].

(١) انظر شرح أصول الإيمان لابن عثيمين (ص٥٨- ٥٩).

الخاتمـــــــــة

وبعد:

فإني أحمد الله جل وعلا، وأثني عليه على ما من به عليَّ ، وأعانني على إتمام هذا الكتاب، وأسأله سبحانه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلا أن يجعله خالصاً لوجهه الكريم.

وختاماً أُبين أهم ما توصلت إليه من النتائج من خلال هذا البحث وهي كما يلي:

أولاً : إن الإيمان بأركان الإيمان الستة، ومعرفتها، يزيد في القلب حب الله تعالى وتعظيمه وخشيته وذلك بمعرفة أسمائه وصفاته وما تحويه من معاني الجلال والكمال والإيمان بألوهيته وعبادته كما شرع على ألسنة رسله وبما أنزل من كتبه إذ هو المستحق للعبادة دون سواه والإيمان بأن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وكذلك معرفة عظيم خلقه في مخلوقاته من الملائكة وغيرها، والإيمان باليوم الآخر وأن ذلك محتم الوقوع فيعظم الخوف من الله تعالى، ويزداد الرجاء في مغفرته ورحمته ويتحقق القسط والعدل [1] .

الثاني: إن مبدأ الإلحاد والكفر وإنكار وجود الرب تعالى، أمر يرفضه الشرع والعقل الصحيح والحس والفطرة السليمة، فالكون كله من أكبر جرم فيه إلى أصغر ذرة فيه كله آيات تسبح لله تعالى وتشهد بدلائل ربوبيته وألوهيته.

---

(١) انظر عقيدة المؤمن ص٤٨٣- ٤٨٦.

الثالث: إثبات الله تعالى لأسمائه وصفاته في كتابه الكريم، وهذا يقتضي منا الإيمان بها كما جاءت من غير تشبيه ولا تحريف ولا تأويل ولا تعطيل.

الرابع: إثبات النبوات بما فيها نبوة نبينا محمد ﷺ وأن المكذب بها معاند، معرض عن الحق سواء كان مشركاً أو كتابياً.

الخامس: إن معجزات الأنبياء ليست لغيرهم وإن لها ما يميزها عن خوارق السحرة والكهان.

السادس: إثبات البعث بالسمع والعقل.

السابع: إن عقيدة أهل السنة والجماعة في القدر تشمل إيمانهم بعلم الله تعالى بخلقه، ومقاديرهم وآجالهم وأرزاقهم وكتابة ذلك في اللوح المحفوظ ومشيئته لذلك فما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وخلقه للخلق بما في ذلك أفعال العباد وأن الله تعالى يهدي من يشاء بفضله ويضل من يشاء بعدله.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

المراجـــــــــع

١- الإبانة عن أصول الديانة، للشيخ أبي الحسن بن إسماعيل الأشعري، ط مطابع الجامعة الإسلامية، تقديم: حماد الأنصاري، ط٢، ١٤٠٥هـ.

٢- الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد لإمام الحرمين أبي المعالي عبدالملك الجويني، تحقيق: أسعد تميم، ط١ مؤسسة الكتب الثقافية، ١٤٠٥هـ.

٣- الأسماء والصفات، للإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق وتعليق: عماد الدين أحمد حيدر، طبع ونشر: دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٠٥هـ.

٤- الإصابة في تمييز الصحابة، تأليف شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ط دار الكتب العلمية.

٥- إظهار الحق، لرحمة الله الهندي، دراسة وتحقيق: محمد أحمد محمد ملكاوي، طبع ونشر إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.

٦- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، لفخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، ومعه كتاب المرشد الأمين إلى اعتقادات فرق المسلمين والمشركين، نشر مكتبة الكليات الأزهرية، القاهرة ١٣٩٨هـ/ ١٩٧٨م.

٧- أعلام النبوة تأليف: علي بن محمد الماوردي، راجعه وقدم له: طه عبدالرؤوف سعد، نشر مكتبة الكليات الأزهرية.

٨- الإعلام بما في دين النصارى من الفساد والأوهام وإظهار محاسن دين الإسلام وإثبات نبوة محمد ﷺ ، تأليف شمس الدين محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج القرطبي، تقديم وتحقيق وتعليق، د. أحمد حجازي السقا، ط دار التراث العربي.
٩- الأعلام تأليف خير الدين الزركلي، ط دار العلم للملايين، ط٩، ١٩٩٠م.
١٠- إغاثة اللهفان، للإمام محمد بن أبي بكر الشهير بابن قيم الجوزية، تحقيق: محمد عفيفي، ط المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م.
١١- اقتضاء الصراط المستقيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – تحقيق محمد حامد فقي، نشر دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٢- الإنسان بين التقدير والتكليف في سورة يونس، تأليف: عبد الحميد محمود ظهماز، ط دار القلم، ودار العلوم،بيروت،ط١، ١٤٠٩/ ١٩٨٩م.
١٣- الإنصاف، للقاضي أبي بكر بن الطيب الباقلاني، تحقيق عمادالدين أحمد، ط عالم الكتب، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.
١٤- الإيمان بالملائكة وأثره في حياة الأمة، للشيخ صالح الفوزان.
١٥- الإيمان بالملائكة، للشيخ محمد بن سليمان الدريوش، رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، عام ١٤٠٢هـ-١٤٠٣هـ، مكتوبة على الآلة الكاتبة.

١٦- الإيمان، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تخريج محمد ناصر الدين الألباني، ط المكتب الإسلامي، بيروت عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٧- بدائع الفوائد، للعلامة أبي بكر محمد بن أبي بكر الدمشقي ابن القيم الجوزية، نشر دار الكتاب العربي، توزيع دار النفائس.
١٨- البداية والنهاية، لأبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تحقيق: د. أحمد أبو ملحم وآخرون، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، نشر دار الريان للتراث، القاهرة.
١٩- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تأليف مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز أبادي، تحقيق محمد علي النجار، ط المكتبة العلمية، بيروت، لبنان.
٢٠- تاريخ الأمم والملوك لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري، ط دار الفكر.
٢١- التبيان في أقسام القرآن، للعلامة، شمس الدين محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، طبعة دار الطباعة المحمدي بالأزهر، نشر مكتبة الرياض الحديثة، سنة ١٣٨٨هـ.
٢٢- التخويف من النار والتعريف بحال البوار للحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي، الطبعة الأولى،١٤٠٥هـ / ١٩٨٣م، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣- التدمرية في تحقيق الإثبات للأسماء والصفات وحقيقة الجمع بين القدر والشرع، طبعة شركة العبيكان، تأليف شيخ الإسلام تقي الدين أبي العباس أحمد عبدالحليم عبدالسلام ابن تيمية، تحقيق: محمد عودة السعوي، طبعة شركة العبيكان، ط١، ١٤٠٥هـ.

٢٤- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، تأليف شمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، ط دار الفكر.
٢٥- تفسير الآيات الكونية،د. عبدالله شحاتة،طبعة دار الاعتصام،ط١ ١٤٠٠هـ/ ١٩٨٠م.
٢٦- تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار، تأليف محمد رشيد رضا، دار المعرفة، بيروت.
٢٧- تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٨- التفسير القرآني للقرآن لعبدالكريم الخطيب، ط دار الفكر العربي.
٢٩- التفسير الكبير للفخر الرازي، طبعة دار الفكر.
٣٠- تفصيل النشأتين وتحصيل السعادتين لأبي الحسين القاسم بن محمد الراغب الأصفهاني، تقديم وتحقيق، د. عبدالمجيد النجار، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣١- تقريب التهذيب للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر دراسة محمد عوامة، طبعة دار القلم، ط٣، ١٤٠٠هـ/ ١٩٩١م.
٣٢- تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، طبعة دار الفكر، ط١، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

٣٣- التوحيد لعبد المجيد الزنداني، ط٢، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٩م، مكتبة جدة – جدة.
٣٤- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق عبدالعزيز الشهوان، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، نشر مكتبة الرشد الرياض.
٣٥- التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل للإمام أبي بكر محمد بن إسحاق بن خزيمة، دراسة وتحقيق عبدالعزيز الشهوان، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، نشر مكتبة الرشد الرياض.
٣٦- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للعلامة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق محمد زهري النجار، ط، عالم الكتب، بيروت الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٣٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تأليف أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، طبعة دار الفكر، ط عام ١٤٠٥هـ.
٣٨- جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم، تأليف الحافظ أبي الفرج عبدالرحمن بن شهاب الدين البغدادي، الشهير بابن رجب، تحقيق شعيب الأرناؤوط ، مؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٩١م.
٣٩- جامع الفرق والمذاهب الإسلامية، تأليف أمير مهنا وعلي خريس، ط١، ١٩٩٢م، نشر المركز الثقافي العربي، بيروت.
٤٠- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبدالله القرطبي، تصحيح أحمد البردوني، ط، الهيئة المصرية العامة.

٤١- الجامع لشعب الإيمان، تأليف الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق د. عبدالعلي حامد، نشر الدار السلفية، بومباي، الهند، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
٤٢- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح، لشيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم وإشراف علي السيد المدني، مطبعة المدني.
٤٣- حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح، للإمام أبي عبدالله محمد بن أبي بكر ابن قيم الجوزية، تقديم: علي السيد صبح مدني، نشر دار المدني.
٤٤- الحبائك في أخبار الملائك للحافظ جلال الدين السيوطي، تحقيق مصطفى عاشور، طبعة مكتبة القرآن.
٤٥- الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، إملاء الإمام الحافظ أبي القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التميمي الأصبهاني، تحقيق ودراسة محمد بن ربيع المدخلي، نشر دار الراية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
٤٦- الحق الواضح المبين في شرح توحيد الأنبياء والمرسلين من الكافية الشافية، تأليف:عبدالرحمن بن ناصر السعدي،ط عام ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، مكتبة المعارف، الرياض.
٤٧- خلق أفعال العباد والرد على الجهمية وأصحاب التعطيل للإمام محمد بن إسماعيل البخاري، تخريج وتصحيح: سالم السلفي وأبو هاجر محمد السعيد بسيوني، نشر مكتبة التراث الإسلامي، مصر.

٤٨- خلق الإنسان بين الطب والقرآن، د. محمد علي البار، الطبعة السابعة، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م، الدار السعودية للنشر والتوزيع.
٤٩- دائرة معارف القرن العشرين، تأليف محمد فريد وجدي، طبع ونشر دار المعرفة، بيروت، ط، الثالثة.
٥٠- درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم توزيع مكتبة ابن تيمية.
٥١- دلائل التوحيد للعلامة محمد جمال الدين القاسمي، تعليق خالد عبدالرحمن العك، ط١، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، طبع ونشر دار النفائس.
٥٢- دلائل النبوة للحافظ أبي نعيم الأصبهاني، تحقيق محمد رواس قلعة وعبدالبر عباس، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، دار النفائس، بيروت.
٥٣- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة لأبي بكر أحمد الحسين البيهقي، تحقيق د. عبدالمعطي قلعجي، ط دار الكتب العلمية، دار البيان للتراث، القاهرة، ط١، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٥٤- الدين الخالص، تأليف السيد محمد صديق حسن، مكتبة دار التراث، القاهرة.
٥٥- رد الإمام الدارمي عثمان بن سعيد على بشر المريسي العنيد، تعليق وتصحيح محمد حامد الفقي، ط دار الكتب العلمية، ط١، عام ١٣٥٨هـ.

٥٦- الرسل والرسالات، د. عمر سليمان الأشقر، ط٣، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، مكتبة الفلاح، الكويت.
٥٧- زاد المسير في علم التفسير للإمام أبي الفرج جمال الدين عبدالرحمن علي محمد الجوزي، طبعة المكتب الإسلامي، ط٤، ١٤٠٧هـ.
٥٨- سبعون برهاناً علمياً على وجود الذات الإلهية لابن خليفة عليوي، طبعة دار الإيمان، ط٣، ١٤٠٨هـ.
٥٩- سلسلة الأحاديث الصحيحة، للشيخ ناصر الدين الألباني. طبعة المكتب الإسلامي.
٦٠- السنة لأبي بكر أحمد بن محمد بن هارون الخلال دراسة وتحقيق د. عطية الزهراني، دار الراية للنشر والتوزيع، ط١، ١٤١٠هـ/ ١٩٨٩م.
٦١- السنة للإمام عبدالله بن أحمد بن حنبل، تحقيق محمد السعيد بسيوني، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ط، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٢- السنة للحافظ أبي بكر عمرو بن أبي عاصم الضحاك بن مخلد الشيباني ومعه ظلال الجنة في تخريج السنة للشيخ محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، ط٢، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.
٦٣- سنن ابن ماجة للحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، ط، المكتبة العلمية، بيروت.

٦٤- سنن الترمذي لأبي عيسى محمد بن عيسى الترمذي، تعليق عزت عبيد الدعاس، طبع ونشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
٦٥- سنن الدارمي للإمام الحافظ عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، تحقيق فؤاد زمرلي وخالد السبع العلمي،ط١،١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م، ط، دار الكتاب العربي، بيروت.
٦٦- سنن النسائي بشرح الحافظ جلال الدين السيوطي وحاشية السندي، ترقيم وتصحيح عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، ط٣، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٦٧- السيرة النبوية لابن هشام، تحقيق: د. همام عبدالرحيم ومحمد أبو صعيليك، مكتبة المنار، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٦٨- السيرة النبوية للحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، تحقيق حسام الدين القدسي، ط٢، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م، ط، دار الكتب العلمية، بيروت.
٦٩- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة للإمام الحافظ أبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، تحقيق: د. أحمد سعد حمدان، نشر دار طيبة، الرياض.
٧٠- شرح أصول الإيمان ، محمد بن صالح بن عثيمين، إصدار دار الوطن، توزيع مؤسسة الجريسي.

٧١- شرح الأصول الخمسة للقاضي عبدالجبار الهمذاني، تعليق أحمد الحسين بن أبي هاشم، تحقيق: د. عبدالكريم عثمان، نشر مكتبة وهبة، القاهرة، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م.
٧٢- شرح العقيدة الأصفهانية، تأليف أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، تقديم حسين محمد مخلوف، نشر دار الكتب الإسلامية، طبع مطبعة الاعتصام،القاهرة،عام ١٣٥٨هـ..
٧٣- شرح العقيدة الطحاوية ، للقاضي علي بن علي بن محمد أبي العز الدمشقي، تحقيق: بشير محمد عيون نشر مكتبة دار البيان،ج١ الأولى، ١٤٠٥هـ.
٧٤- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن علي بن محمد أبي العز الدمشقي، تحقيق: بشير محمد عيون نشر مكتبة دار البيان،ج١ الأولى، ١٤٠٥هـ.
٧٥- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، طبعة المكتب الإسلامي.
٧٦- شرح العقيدة الطحاوية، للقاضي علي بن علي بن محمد بن أبي العز الدمشقي، طبعة المكتب الإسلامي.
٧٧- الشريعة للإمام أبي بكر محمد بن الحسين الآجري، تحقيق محمد حامد فقي، طبعة الكتب العلمية.
٧٨- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض، أبي الفضل عياض بن موسى بن عياض اليحصبي، تحقيق علي محمد البجاوي، مطبعة الحلبي.

٧٩- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل للإمام ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
٨٠- الصحاح لإسماعيل بن حماد الجوهري، تحقيق أحمد عبدالغفور، دار العلم، ط٢، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.
٨١- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، ضبط وترقيم وشرح وتخريج د. مصطفى ديب البغا، نشر وتوزيع دار ابن كثير، دمشق ط٤، ١٤١٠هـ.
٨٢- صحيح الجامع الصغير وزيادته، تأليف محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م، ط، المكتب الإسلامي.
٨٣- صحيح سنن النسائي للشيخ العلامة محمد ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي، نشر مكتبة التربية العربي لدول الخليج، ط١، عام ١٤٠٩هـ.
٨٤- صحيح مسلم بشرح النووي، طبعة دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٨٥- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري، تحقيق محمد فؤاد عبدالباقي، طبع ونشر المكتبة الإسلامية، استانبول، تركيا.
٨٦- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة لابن قيم الجوزية، تحقيق وتخريج وتعليق د. محمد الدخيل الله، دار العاصمة، الرياض، ط١، ١٤٠٨هـ.

٨٧- عالم الملائكة الأبرار، د. عمر سليمان الأشقر، ط٦، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، طبع ونشر مكتبة الفلاح، بيروت، دار النفائس، الكويت.
٨٨- العبودية للإمام تقي الدين أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، طبعة دار الكتب العلمية، ط١، ١٤٠١هـ/ ١٩٨١م.
٨٩- العقيدة الإسلامية وأسسها، لعبدالرحمن حبنكة الميداني، ط٥، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، دار القلم، دمشق.
٩٠- عقيدة التوحيد في القرآن لمحمد ملكاوي، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، نشر دار ابن تيمية، الرياض.
٩١- عقيدة المؤمن، تأليف أبي بكر الجزائري، طبعة دار الشروق، جدة، ط٥، ١٤٠٧هـ.
٩٢- العقيدة في الله، د. عمر سليمان الأشقر، نشر مكتبة الفلاح ودار النفائس، ط٧، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
٩٣- العلم يدعو إلى الإيمان كريس موريسون، ترجمة محمود، صالح الفلكي، دار القلم، بيروت، ط١، ١٩٨٦م.
٩٤- الفتاوى الكبرى لشيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة، بيروت، ط١، ١٤٠٩هـ/ ١٩٨٨م.
٩٥- فتح الباري لشرح صحيح البخاري، للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ترقيم محمد فؤاد عبدالباقي، شرح وتصحيح محب الدين الخطيب، دار الريان للتراث،ط١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٩٦- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني مع شرحه بلوغ الأماني من أسرار الفتح الرباني، تأليف أحمد عبدالرحمن البنا، طبعة دار الشهاب، القاهرة، نشر مكتبة الحرمين.
٩٧- فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، تأليف محمد علي الشوكاني، طبعة دار المعرفة، بيروت.
٩٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم للأستاذ عبدالقاهر بن طاهر البغدادي، تحقيق لجنة إحياء التراث العربي، طبعة عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٧م، ط، دار الجيل، دار الآفاق بيروت.
٩٩- الفصل في الملل والأهواء والنحل، تأليف أبي محمد علي بن أحمد المعروف بابن حزم الظاهري، تحقيق د. محمد إبراهيم نصر، د. عبدالرحمن عميرة، دار الجيل.
١٠٠- الفقه الأكبر مع شرحه لملا علي القارئ تصحيح محمد بدر الدين أبو فراس الحلبي، مكتبة ومطبعة الحلبي، القاهرة، ط١، عام ١٣٢٣هـ.
١٠١- الفوائد لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، تحقيق بشير محمد عيون، الطبعة الثانية، عام ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة المؤيد، الطائف، مكتبة دار البيان، دمشق.
١٠٢- في ظلال القرآن، لسيد قطب، طبعة دار الشروق.

١٠٣- القاموس المحيط لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، تحقيق مكتبة تحقيق التراث ومؤسسة الرسالة، ط٢، ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.
١٠٤- القضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، للشيخ عبدالرحمن المحمود رسالة ماجستير مقدمة إلى قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، مكتوبة على الآلة الكاتبة.
١٠٥- قطر الولي على حديث الولي للإمام الشوكاني، تحقيق وتقديم د. إبراهيم إبراهيم هلال، مطبعة حسان، نشر دار الكتب.
١٠٦- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، لفضيلة الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين، ط٣، ١٤٠٨هـ، دار عالم الكتب للنشر والتوزيع، الرياض.
١٠٧- القيامة الكبرى، د. عمر سليمان الأشقر، ط٢، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، مكتبة الفلاح، الكويت.
١٠٨- الكواشف الجلية من معاني الواسطية، للشيخ عبدالعزيز بن محمد السلمان، ط١٧، ١٤١٠هـ.
١٠٩- الكواكب الدرية لشرح الدرة المضية في عقد أهل الفرقة المرضية، تأليف محمد بن عبدالعزيز بن مانع، مطبعة المدني، نشر المؤسسة السعودية بمصر، القاهرة.

١١٠- لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن منظور، طبعة مؤسسة الكتب الثقافية، نشر مؤسسة صادر، بيروت.
١١١- لسان الميزان للإمام الحافظ شهاب الدين أحمد بن علي بن حجر، ط١، نشر دار الكتاب الإسلامي، القاهرة.
١١٢- لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لموفق الدين أبي محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مع شرحه لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، تحقيق أشرف عبدالمقصود، مكتبة البخاري، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.
١١٣- الله جل جلاله، لسعيد حوى، دار القلم، ط٣، ١٤٠١هـ.
١١٤- لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية لشرح الدرة المضية في عقد الفرق المرضية، تأليف العالم الشيخ محمد بن أحمد السفاريني الأثري الحنبلي، منشورات مؤسسة الخافقين، ط٢، ١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م، دمشق.
١١٥- مجلة الأزهر، العدد ٨ شوال ١٣٩٦هـ.
١١٦- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي بتحرير العراقي وابن حجر،نشر دار الكتاب العربي،ط٣، ١٤٠٢هـ/ ١٩٨٢م.
١١٧- مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب عبدالرحمن بن قاسم، طبع ونشر مكتبة ابن تيمية.
١١٨- مجموعة الرسائل المنيرية، إدارة الطباعة المنيرية،ط عام ١٣٤٦هـ.

١١٩- مختار الصحاح للشيخ محمد بن أبي بكر عبدالقادر الرازي، طبعة مكتبة لبنان، بيروت، عام ١٩٨٨م.
١٢٠- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، تأليف الإمام المحقق محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية، اختصار محمد الموصلي، المطبعة السلفية، دار الفكر، ط عام ١٣٤٩هـ.
١٢١- مختصر العلو للعلي الغفار، تأليف الحافظ شمس الدين الذهبي، تحقيق واختصار محمد ناصر الدين الألباني، ط٢، ١٤١٣هـ/ ١٩٩١م، المكتب الإسلامي.
١٢٢- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، للإمام ابن قيم الجوزية، تحقيق محمد حامد فقي، نشر دار الكتاب العربي، ط عام ١٣٩٢هـ/ ١٩٧٢م.
١٢٣- المستدرك على الصحيحين للإمام الحافظ أبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري، دراسة وتحقيق مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.
١٢٤- مسند الإمام أحمد بن حنبل، إشراف د. سمير طه المجذوب، ط١، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، ط، المكتب الإسلامي.
١٢٥- مسند الإمام أحمد بن حنبل، شرح أحمد شاكر، ط، دار المعارف، مصر.
١٢٦- مسند الإمام أحمد بن حنبل، فهرسة الشيخ ناصر الدين الألباني، طبعة المكتب الإسلامي ، ط٥، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

١٢٧- مشكاة المصابيح، تأليف محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، تحقيق الشيخ ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط٢، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م.
١٢٨- مع الطب في القرآن، تأليف د. عبدالحميد دياب، د. أحمد قرقوز، تقديم د. محمود ناظم نسيمي، طبعة مؤسسة علوم القرآن، ط٢، ١٤٠٢هـ.
١٢٩- معارج القبول بشرح سلم الوصول إلى علم الأصول، تأليف حافظ أحمد حكمي، تعليق عمر محمود أبو عمر، دار ابن القيم، ط١، ١٤١٠هـ.
١٣٠- معالم التنزيل للإمام أبي الحين بن مسعود الفراء البغوي، تحقيق خالد العك ومروان سوار، الطبعة الثانية ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٣١- معالم السنن شرح سنن أبي داود للإمام أبي سليمان حمد بن محمد الخطابي البستي، تحقيق عبدالسلام عبدالشافي محمد، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
١٣٢- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة للعلامة الإمام ابن القيم الجوزية، طبعة دار الفكر.
١٣٣- المفردات في غريب القرآن، تأليف أبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب، تحقيق محمد سيد كيلاني دار المعرفة بيروت.

١٣٤- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان ط٣.
١٣٥- الملل والنحل، تأليف أبي الفتح، محمد بن عبدالكريم بن أحمد الشهرستاني، تحقيق محمد سيد كيلاني، دار المعرفة، بيروت، لبنان.
١٣٦- الملل والنحل، للأستاذ أبي منصور عبدالقاهر البغدادي، تحقيق د. ألبير نصري نادر، دار المشرق، بيروت، لبنان.
١٣٧- منهاج السنة النبوية لابن تيمية تقي الدين أحمد بن عبدالحليم، تحقيق د. محمد رشاد سالم، ط١، ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٦م.
١٣٨- المنهاج في شعب الإيمان، للحليمي، تحقيق حلمي محمد فودة، طبعة دار الفكر، ط١، ١٣٩٩هـ.
١٣٩- منهج الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة،تأليف عثمان بن علي حسن،١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م، مكتبة الرشد، الرياض.
١٤٠- المواقف في علم الكلام لعضد الدين القاضي عبدالرحمن بن أحمد الإيجي، مطبعة عالم الكتب، بيروت.
١٤١- ميزان الاعتدال في نقد الرجال، تأليف أبي عبدالله بن محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق علي محمد البجاوي.

١٤٢- النبوات، تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة وتحقيق محمد عبدالرحمن عوض، ط١، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، دار الكتاب العربي، بيروت.
١٤٣- النهاية في الفتن والملاحم، للإمام أبي الفداء الحافظ ابن كثير الدمشقي، تصحيح وضبط الأستاذ أحمد عبدالشافي، طبع ونشر دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط٢، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.
١٤٤- النهاية في غريب الحديث والأثر للإمام مجد الدين المبارك محمد الجزري المعروف بابن الأثير، طبعة دار الفكر، تحقيق طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناجي.
١٤٥- يقظة أولي الاعتبار مما ورد في ذكر النار وأصحاب النار، صديق حسن خان، تحقيق أحمد حجازي السقا، نشر دار التراث الإسلامي، الأزهر.
١٤٦- اليوم الآخر بين اليهودية والمسيحية والإسلام، تأليف د. فرج الله عبدالباري أبو عطاالله، طبع ونشر دار الوفاء للطباعة، المنصورة، مصر، ط١، ١٤١١هـ/ ١٩١١م.

الفهـــــرس

مقدمـــــــــــة ٣
أسس العقيدة ٥
الأصل الأول من أصول الإيمان..... ٧
الإيمان بالله تعالى..... ٧
أولاً: توحيد الربوبية..... ٧
أدلة الربوبية ٩
١- خلق السماوات والأرض..... ٩
٢- تدبير الأمر ١١
٣- خلق الشمس والقمر ١٣
٤- اختلاف الليل والنهار ١٤
٥- ما خلق الله في السماوات والأرض..... ١٥
أولاً: الدلائل السماوية: ١٥
ثانياً: الدلائل الأرضية: ١٧
٦- جريان الفلك في البحر ١٩
٧- الريـاح..... ٢٠
٨- الرزق ٢١
٩- خلق السمع والبصر ٢٢

١٠- إخراج الحي من الميت وإخراج الميت من الحي ٢٣
الاستدلال بالفطرة ٢٥
ثانياً: توحيد الألوهية ٢٩
الاستدلال بتوحيد الربوبية على الألوهية. ٣٣
أولاً: الدلائل الكونية التي تدل على ربوبيته سبحانه وتعالى :..... ٣٣
ثانياً: دليل الفطرة: ٣٤
ثالثاً: توحيد الأسماء والصفات..... ٣٩
وصفات الله تعالى تنقسم إلى قسمين: ٤٠
أولاً: صفات ثبوتية..... ٤٠
ثانياً: صفات سلبية: ٤١
بيان منهج السلف في الأسماء والصفات ٤١
أما المخالفون لمذهب أهل السنة والجماعة، فهم طائفتان:٤٥
الأولى: المشبهة ٤٥
الثانية: المعطلة للصفات ٤٥
الأصل الثاني من أصول الإيمان..... ٤٧
الإيمان بالملائكة..... ٤٧
تعريفهم:..... ٤٧
الأدلة على وجوب الإيمان بالملائكة ومقتضاه:..... ٤٧

والإيمان بهم يقتضي ما يلي:- ٤٨
أولاً: الإيمان بوجودهم. ٤٨
ثانياً: الإيمان بأنهم عباد الله المكرمون، ٤٨
ثالثاً: الإيمان بهم على سبيل الإجمال والتفصيل،..... ٤٨
رابعاً: الإيمان بما جاء من صفاتهم ٤٩
خامساً: الإيمان بما كلفوا به من أعمال ٥١
ومن الأعمال الجليلة العظيمة: إنزال الوحي على الأنبياء: ٥٣
ومن الأعمال التي تقوم بها الملائكة: إهلاك الأمم المكذوبة بأمر الله: ٥٦
ومن الأعمال التي تقوم بها الملائكة: كتابة أعمال العباد: ٥٧
كتابة الملائكة لجميع الأقوال والأفعال: ٥٨
كتابة أعمال القلوب: ٦٠
ومن أعمال الملائكة: تبشير المؤمنين:..... ٦٢
من ثمرات الإيمان بالملائكة :..... ٦٢
الأصل الثالث من أصول الإيمان ٦٤
الإيمان بالكتب ٦٤
والإيمان بالكتب يتضمن ما يلي: ٦٥

أولاً: الاعتقاد الجازم بأن لله جل وعلا كتباً أنزلها على أنبيائه ورسله. ٦٥
ثانياً: إن الله تعالى تكلم بها على الحقيقة وليس مجازاً، ٦٥
ثالثاً: إن جميع هذه الكتب يصدق بعضها بعضاً ٦٥
رابعاً: إن نسخ هذه الكتب بعضها لبعض حق كما نسخ الإنجيل بعض شرائع التوراة ٦٦
خامساً: إن جميع هذه الكتب قد اتفقت على الدعوة على توحيد الله عز وجل وإن اختلفت الشرائع. ٦٦
سادساً: الإيمان بأن لله كتباً كثيرة لا يعلم عددها إلا الله، ٦٦
القرآن الكريم ٦٧
تعريفه: ٦٧
في اللغة: ٦٧
وأما في الاصطلاح: ٦٧
ثمرات الإيمان بالكتب: ٧٠
الأصل الرابع من أصول الإيمان ٧١
الإيمان بالرسل ٧١
والنبوة في اللغة ٧١
أما التعريف الاصطلاحي ٧٢
الفرق بين النبي والرسول: ٧٤

والإيمان بالرسل يتضمن ما يلي: ٧٥
كما إن الإيمان بالرسل يشمل ٧٦
دلائل النبوة: ٧٧
ومن دلائل النبوة ما يلي: ٧٧
أولاً: تأييد الله لرسله بالآيات والبراهين الدالة على صدقهم: ٧٧
آيات الأنبياء نوعان: ٧٩
الأول: ما كان من باب العلم كالإطلاع على بعض أمور الغيب: ٧٩
ثانياً: ما كان من باب القدرة: ٧٩
ثانياً: صفات الرسل وأخلاقهم وبيان الصدق فيما يدعون إليه: ٨٠
وخصائص النبوة أربعة: ٨١
الأول: الكمال الخَلقي والخُلقي: ٨١
الثاني: الفضيلة الإكرامية ٨٢
الثالث: إنزال الكتب عليهم، والكتب التي يأتي بها الرسل مشتملة على الهداية والنور. ٨٢
الرابع: العصمة..... ٨٢
ثالثاً: اتفاق دعوة الرسل: ٨٣

وهذا يدل على النبوة من عدة أوجه: ٨٣
رابعاً: نصر الله لرسله وإهلاك عدوهم: ٨٤
خامساً: بشارة النبي السابق بالنبي اللاحق: ٨٥
ثمرات الإيمان بالرسل: ٨٦
الأصل الخامس من أصول الإيمان ٨٧
الإيمان باليوم الآخر ٨٧
ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالبعث والجزاء..... ٨٨
تعريف البعث: ٨٨
البعث في اللغة: ٨٨
أما في اصطلاح الشرع: ٨٩
الاستدلال ببدء الخلق على إعادته ٩٤
كما إن حكمة الرب تعالى وعدلـه تقتضي البعث والجزاء: ٩٥
ومن الأدلة العقلية على البعث: ٩٦
أما الأدلة على البعث من الحس: ٩٧
ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالحشر: ١٠٠
تعريفه: ١٠٠
الحشر لغة: ١٠٠
وفي اصطلاح الشرع ١٠٠

عموم الحشر للثقلين والبهائم والوحوش:..... ١٠١
أحوال أهل المحشر: ١٠٣
ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بأهوال يوم القيامة.١٠٣
ومن الإيمان باليوم الآخر : الإيمان بالجنة وأنها مخلوقة وموجودة وأنها لا تفنى ولا تبيد وهي دار النعيم المقيم .
..... ١٠٦
ومن الإيمان باليوم الآخر: الإيمان بالنار وأنها مخلوقة وموجودة وأنها لا تفنى. ١٠٩
ثمرات الإيمان باليوم الآخر: ١١١
الأصل السادس من أصول الإيمان ١١٢
الإيمان بالقضاء والقدر ١١٢
تعريف القضاء والقدر: ١١٢
القضاء في اللغة: ١١٢
ومن معانيه ١١٣
وأما في الشرع: ١١٤
ومعنى الإيمان بالقضاء والقدر..... ١١٤
وللإيمان بالقضاء والقدر أربع مراتب ١١٥
المرتبة الأولى: العلم ١١٥

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة ١١٦
المرتبة الثالثة: المشيئة ١١٧
المرتبة الرابعة: الخلق ١١٨
ثمرات الإيمان بالقدر: ١٢٠
الخاتمـــــــــة..... ١٢٢
المراجـــــــع ١٢٤
الفهـــــــرس..... ١٤٣